نور الحياة

سلسلة دراسات في كلمة الله

الكتاب السابع عشر

في السلوك المسيحي (٥)

الأخلاق المسيحية

... ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

الكتاب السابع عشر

في السلوك المسيحي (٥)
الأخلاق المسيحية

... ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم الكتـــاب : نور الحياة
الكتـــاب التاسع : في السلوك المسيحي (٥)
المـــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
www.gamilsoliman.org
الطبعـــــــــة : الأولي ٢٠١٨
الناشـــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤
المطبعـــــــة : مدارس الأحد، ٧٠ شارع روض الفرج- القاهرة
رقم الإيـــداع : ٢٠١٧/١١٥٥١
الترقـــيم الـــدولي : 978-977-823-009-3

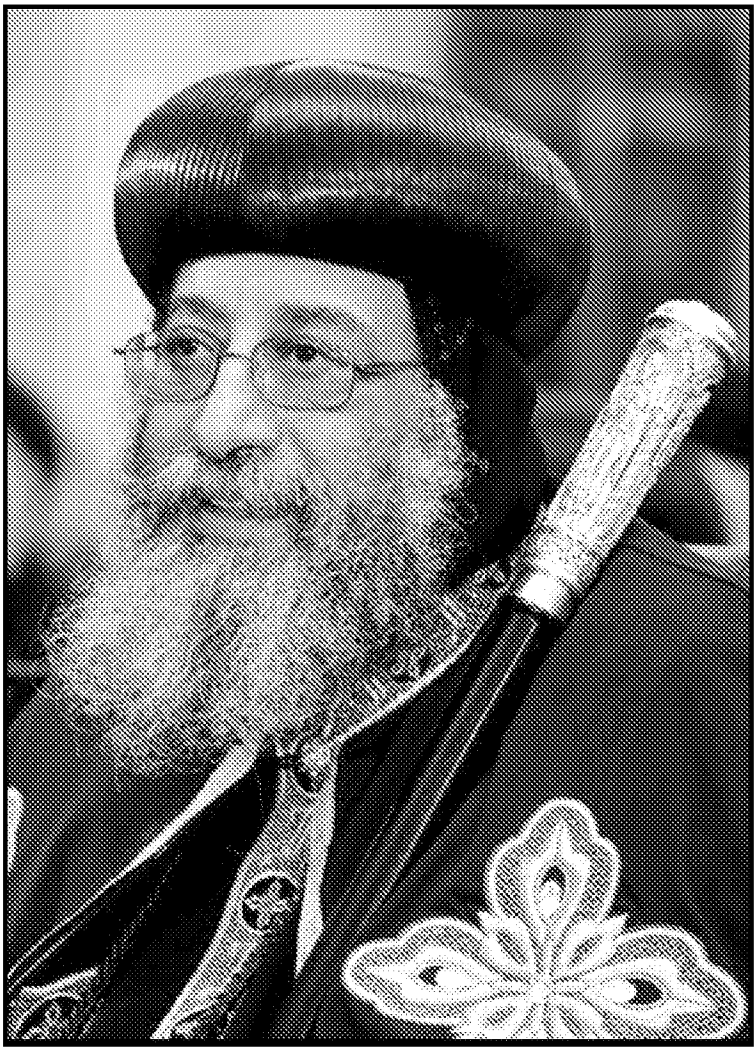

صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية المائة والثامن عشر

المحتويـــات

كلمة إلى القارئ ٩

في الحياة العملية ١١

+ الأخلاق المسيحية ١٢

- سمات الأخلاق المسيحية ١٤
- المسيح هو مثالنا ١٨
- دستور الأخلاق المسيحية ٢١
- كيف نثبت في الأخلاق المسيحية؟ ٣٠

+ العمل من منظور كتابي ٣٩

- عن العمل بعد السقوط ٤٠
- قيمة العمل ٤١
- العمل كممارسة مسيحية ٤٤
- عن العمل المسيحي ٤٩
- التزامات عامة ٥١
- محاذير ٥٤
- التزامات خاصة ٥٧

+ **كونوا رجالاً** ٧٤

- نماذج ملهمة ٧٦

- عندما تغيب الرجولة المسيحية ٨٠

عن وصية المحبة ٨٣

+ **عن المحبة المسيحية** ٨٤

- عن المحبة العائلية ٨٧

- عن الصداقة ٨٩

- الحدود المتسعة للمحبة ٩٠

+ **"أحبوا أعداءكم"** ٩٣

- "احسنوا إلى مبغضيكم" ٩٨

- "باركوا لاعنيكم" ٩٨

- محبة الأعداء هي الفارق ١٠٠

+ **"يبغض نفسه"** ١٠١

- وصايا محبة القريب ١٠٢

- وصايا بغضة النفس والأقارب ١٠٢

- "تحب.. كنفسك" ١٠٤

- "يبغض نفسه... يهلك نفسه" ١٠٧

إلى العمق ١١١

+ عن الكم والكيف ١١٢

- الله هو المعلم والقدوة ١١٣
- عن الصلاة ١١٤
- عن الصوم ١١٧
- عن العطاء ١١٨
- عن حفظ كلمة الله ١٢٥
- عن الخدمة المسيحية ١٣٠

في العلاقة مع الله ١٣٧

+ طاعة الله ١٣٨

- عن طاعة الوصية ١٤٠
- عن الذين أطاعوا ١٤٣
- بركات الطاعة وعاقبة العصيان ١٤٥

+ حضور الله ١٤٨

- حضور الله والتجسد ١٤٩
- حضور الله وحياتنا الروحية ١٥٠
- كيف نختبر حضور الله الدائم؟ ١٥١
- الذين لا يشعرون بحضور الله ١٥٥
- كيف نسلك في حضور الله؟ ١٥٨
- مشاهد سلبية ١٦١

+ **مخافة الله** ١٦٥

- معنى مخافة الله ١٦٦
- الرب يوصينا ألا نخاف غير الله ١٦٧
- مخافة الله ومحبته محور الحياة الروحية ١٦٨
- مخافة الله في العبادة والسلوك ١٧٠
- بركات مخافة الرب ١٧١

كلمة إلى القارئ

شكراً لله الذي غمرتني نعمته لمواصلة نشر هذه **السلسلة من الدراسات في كلمة الله**، التي بدأ إصدارها قبل أكثر من عشر سنوات، وهدفها أن نجعل كلمة الله دستور الحياة.. وها نحن قد بلغنا **الكتاب السابع عشر** من **"نور الحياة"**.

ويتضمن كتابنا جزءاً خامساً من **"في السلوك المسيحي"** وهو واحد ضمن سبع مجموعات رئيسية من هذه السلسلة، هذه عناوينها: (١) **عن المسيح** (كتابان)، (٢) **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**، (٣) **في السلوك المسيحي** (خمسة كتب)، (٤) **قضايا إيمانية** (ثلاثة كتب)، (٥) **شخصيات كتابية**، (٦) **أناجيل قداسات الآحاد** (ثلاثة كتب)، (٧) **أعياد الكنيسة** (كتابان).

وكما يرى القارئ فإن عدد الكتب المتصلة **بالسلوك المسيحي** هو الغالب، وهو أمر منطقي تماماً. فإن الإيمان المسيحي ليس وهماً وتجريداً أو عقائد جامدة، أو تتميم فرائض وممارسات شكلية، أو حفظ كلمات ونصوص، وإنما هو في حقيقته حياة فاعلة تنعكس في سلوك المؤمن، في ممارساته اليومية ومعاملاته التي يضرمها الروح القدس الذي وُلد منه، ناثراً نور المسيح على كل من حوله: **"فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يرى أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات"** (مت٥: ١٦). وكل ألوان عبادته في النهاية تتمثل في سلوكه: محبةً وبذلاً وعطاءً وتوبةً واحتمالاً.

ويتناول هذا الجزء الخامس من **"في السلوك المسيحي"** جوانب عملية لم تتطرق إليها الأجزاء السابقة: **فأول** الفصول عن **"الأخلاق المسيحية"** وتميزها عن غيرها، و**"العمل من منظور كتابي"**، وكيف تصير أعمالنا مجالاً لتفعيل وصية الإنجيل ولتمجيد اسم الله، **والثاني** عن **المحبة** شاملاً **محبة الأعداء** من ناحية **وبغضة الذات** من الناحية المقابلة، **والثالث** يتطرق إلى أعماق السلوك المسيحي فيتناول مضادة **الكم والكيف**. فالعبادة التي تقف عند حد الشكل والرسم والحرف والطقس لا طائل من ورائها فـ **"الحرف يقتل ولكن الروح يحيي"** (٢كو٣: ٦)، **والفصل الأخير** عن جانبين من العلاقة مع الله: الإحساس **بحضوره، وطاعته.**

ومحتوى الكتاب – كسائر كتب السلسلة – كان في الأصل عدداً من المقالات المنشورة في مجلتي **"مرقس"** و**"مدارس الأحد"** العريقتين. ولكن من أجل فائدة القارئ فقد عمدنا إلى جمع المقالات ذات الموضوع المشترك في كتب تتيح فهماً أشمل وأعمق، كما تيسّر حفظ المقالات وتبويبها والعودة إليها بوجودها ملتئمة معاً ومصنّفة بين دفتي كتاب بعينه، وليست متناثرة في أعداد المجلة على مدى أعوام. ودافعنا إلى بذل هذا الجهد الإضافي هو خدمة القارئ المخلص للمعرفة.

وإني أسأل الله أن يبارك هذا الجهد لمجد اسمه وإعلاء كلمته، بصلوات أبينا **قداسة البابا أنبا تواضروس،** كما أطلب صلوات كل من يقرأ هذا الكتاب كي يستخدمه الله من أجل إنارة الأذهان بمجد معرفة الله وكلمته.

(مايو ٢٠١٨)

في الحياة العملية

- الأخلاق المسيحية
- العمل من منظور كتابي
- كونوا رجالاً

الأخلاق المسيحية

وهل للمسيحية أخلاقها؟ وهل تتميَّز أخلاق المسيحي عن أخلاق غيره؟

نعم، فللمسيحية أخلاقها، ولها توجُّهاتها التي تختلف عن غيرها. والأخلاق المسيحية تُشكِّل جانباً يعتدّ به من السلوك المسيحي، الذي يعكس حياة الإيمان المسيحي، وترتبط به ارتباطاً عضوياً.

فإذا كانت علامات حياة الجسد، هي الحركة والتنفُّس والنمو وغيرها مِمَّا هو معروف؛ فإنَّ حياة الإيمان بالمسيح وسُكنى الروح لها ثمارها (غل ٥: ٢٢،٢٣). وهذه وإنْ كانت في أساسها باطنية، لكن لا تبقى خافية أو ساكنة، وإنما تُفْصِح عن نفسها في السلوك والأخلاق والمعاملات في المجتمع والعالم.

والرب، وهو يُقدِّم شريعة العهد الجديد، أشار إلى الدور الطبيعي للمؤمن **كملح للأرض**، يُغيِّر من طعمها المُرِّ أو المائع، فيُضفي عليها من

مبادئه وأخلاقه المسيحية جمالاً كانت تفتقده، ويُصلِح العالم من فساده، كما يحفظ الملحُ الطعامَ فلا يتلف. ولكي يَبقى المؤمن ملحاً جيداً يلزم أن يظل على اتِّحاده الدائم بمخلِّصه لتتواصل مهمته، وإلاَّ فَقَدَ قيمته، كالملح الفاسد الذي يُلقَى خارجاً وتدوسه الناس (مت ٥: ١٣).

كما جعل الربُّ المؤمنَ **نوراً للعالم**، يُبشِّر الهائمين في تيه العالم الحاضر بالمسيح، ويُبكِّت ويفضح المنحرفين المتسترين بالظلام. وهو يلزم أن يُضيء علناً أمام الكل كمدينة مُشيَّدة على جبلٍ لا يمكن إخفاؤها؛ وكسراجٍ يُضيء لأهل البيت، لا يوضع تحت مكيال، وإنما على المنارة. وانتهى الرب إلى ما يقصده بقوله: "**فليُضئ نوركم** (الذي يستمدُّ أصله من المسيح النور الحقيقي للعالم – يو ١: ٩؛ ٨: ١٢؛ ٩: ٥ – كما يستمدُّ القمر ضياءه من الشمس) **هكذا قدَّام الناس، لكي يَرَوْا أعمالكم الحسنة** (أي سلوككم وأخلاقكم)، **ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات**" (مت ٥: ١٤-١٦).

وفي رسالته إلى تيطس، يؤكِّد الرسول بولس على أهمية سلوك المؤمنين وتأثيره في الآخرين: "**وأُريد أن تُقرِّر هذه الأمور، لكي يهتمَّ الذين آمنوا بالله أنْ يُمارِسوا أعمالاً حسنة. فإنَّ هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس**" (تي ٣: ٨).

فإذا لم تكن سمات الرب يسوع (غل ٦: ١٧) ظاهرة في حياة المؤمن (بغير رياء أو تزييف)، فهذا يُنبئ عن انفصاله عن ينبوع حياته، والموات الذي يتهدَّده، فنتذكَّر قول الرب الذي كتبه القديس يوحنا إلى ملاك كنيسة سارْدِس: "**أنا عارفٌ أعمالك، أنَّ لك اسماً أنك حيٌّ وأنت ميتٌ. كُن ساهراً وشدِّد ما بَقِيَ، الذي هو عتيدٌ أن يموت**" (رؤ ٣: ١، ٢).

■ سمات الأخلاق المسيحية:

ربما يحتجُّ البعض أنَّ الأخلاق الجيِّدة ليست وقفاً على المسيحيين، فلا تخلو الأديان الأخرى من وصايا تحضُّ على الخير والفضيلة. كما لا ننسى أنه في بلاد الغرب، التي أزاحت الدِّين جانباً في القرون الأخيرة، بَقِيَ من المسيحية فيها بعضٌ من أخلاقها كأثرٍ لِمَا عاشته مجتمعاتها من قبل. وأكثر الناس يُظهِرون خُلقاً رشيداً يتَّسم بالأمانة والأدب، وهم يدينون الكذب، ويُقدِّمون بعضهم بعضاً، ولا يتداخلون في شئون غيرهم، ويُقدِّمون المساعدة لَمن يحتاجها، وبعضهم يتبرع بالكثير.

ولكن ما يختلف فيه السلوك الأخلاقي لغير المؤمنين عمَّا نُسمِّيه **"الأخلاق المسيحية"**، هو سطحيته ومحدوديته. فهو قاصرٌ على الخارج، ولا يمتدُّ إلى تغيير الفكر والقلب، ففيه يختلط الخير بالشرِّ؛ وبينما يبدو الظاهر طيِّباً، تستقرُّ في الأغوار محبة العالم والكبرياء والخبث والشهوات والميل إلى الفساد(١). والواحد منهم قد يحبُّ ويُصادِق، لكن يظل في نفس الوقت يكره ويحسد وينتقم، أو قد يسقط في التعصُّب فيُقصِر مودَّته وتعامُله على خاصته(٢).

يُضاف إلى ذلك، أنَّ هناك موقفاً مُخالفاً من العفة وحياة الطهارة. فالمجتمعات الغربية تؤمن بالحرية الجنسية ولا تعتدُّ بالعفة، والعلاقات الجنسية تحرَّرت من قيود الزواج؛ كما أنه في بعض مجتمعات الشرق التي

---

(١) ليس غريباً ما يُذاع في الشرق والغرب، حتى عن الرؤساء وكبار القوم ذوي الوقار والتديُّن الظاهر، وهم ينغلبون من شهواتهم مع أدنى الناس، أو يمدُّون أيديهم إلى المال الحرام رغم غناهم، وغيره من جوانب السقوط.

(٢) بل إنَّ بعض الأديان تستحلُّ قتل غير المؤمنين بعقيدتهم خدمة لله (يو ١٦: ٢).

تُحرِّم الزنا، تسود أنماطٌ من الزواج هي أقرب إلى الزنا الذي يكتسِب غطاءً شرعياً.

أما **الأخلاق المسيحية** فتتميَّز أنها، في أساسها، ثمار التمتُّع بالخلاص الذي صار لنا بفداء المسيح الذي أتمَّه على الصليب، فغسَّلنا بدمه وأقامنا من موت الخطية. وهذا الخلاص نلناه كنعمةٍ مجانية نقبلها بالإيمان: **"لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله** (بغير مُقابل). **ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحدٌ"**(٣) (أف ٢: ٨،٩).

فما أن يذوق المؤمن نعمة الخلاص، ويصير خليقة جديدة في المسيح يسوع (٢كو ٥: ١٧)؛ حتى يُمارس أعمال الإيمان النابعة من الروح القدس الساكن فيه، والتي يقول عنها بولس الرسول: **"مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها"** (أف ٢: ١٠).

من هنا فكمال **الأخلاق المسيحية** وفرادتها نابعٌ من أنها ليست اجتهاداً ذاتياً أو جسدياً (يو ١٥: ٤)، وإنما هي إنعامٌ إلهي مجاني وعطية **"من فوق"** (يو ٣: ٣؛ أف ٢: ٨). فالمؤمنون قبل أن يؤمنوا ويعتمدوا، كانوا مثل غيرهم، ولكنهم تغيَّروا كليّاً لمَّا افتقدهم نعمة الله.

هكذا يكتب القديس بولس عن معجزة الخلاص والتبرير: **"لأننا كُنَّا نحن أيضاً قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالِّين، مُستعبَدين لشهواتٍ**

---

(٣) فالمسيحي، إذاً، لا يقدر أن يتفاخر على الآخرين بأخلاقياته، لأنه لا فضل له فيها. هو فقط يُبشِّر بمَن خلَّصه ووهبه الحياة الجديدة.

ولـــذَّاتٍ مختلفة، عـــائشين في الخبث والحسد، ممقُوتين، مُبغِضين بعضُنا بعضاً. ولكن حين ظهر لُطف مُخلِّصنا الله وإحسانه، لا بأعمالٍ في بـــرٍّ عملناها نحن، بـــل بمقتضى رحمته، خلَّصـــنا بغُسْـــل الميـــلاد الثـــاني وتجديـــد الروح القدس، الـــذي سكبه بغِنًى علينا بيســـوع المســـيح مُخلِّصنا، حتى إذا تبرَّرنا بنعمته، نصير ورثـــةً حســـب رجـــاء الحيـــاة الأبدية" (تي ٣: ٣-٧).

فالحياة تتغيَّر بكاملها - باطناً وظاهراً - والمـــؤمن يتقـــدَّس - نفســـاً وجسداً - ويصير هيكلاً للـــروح القـــدس (١كـــو ٣: ١٦؛ ٦: ١٩؛ ٢كو ٦: ١٦)، والنور يُبـــدِّد الظلمة: **"لأنكم كنتم قبلاً ظُلمة، وأما الآن فنورٌ في الرب"** (أف ٥: ٨)، **"أيَّة خلطة للبرِّ والإثم؟ وأيَّة شركة للنـــور مع الظلمـــة؟"** (٢كـــو ٦: ١٤).

والجســـد تنضبط غرائـــزه، وحواســـه - نظراً وسمعـــاً وكلامـــاً - تحكمها الطهـــارة: **"لأن الله لم يـــدعُنا للنجاســـة، بـــل في القداســـة"** (١تس ٤: ٧)، وأعضاء الجسد تصير للمسيح، ولا يعود المؤمن حُـــرّاً أن يُلوِّثها: **"أفآخُذ أعضاء المســـيح وأجعلـــها أعضـــاءَ زانيـــةٍ؟ حاشـــا!"** (١كو ٦: ١٥)؛ ولا تعود توجد في النفس مناطق خفية يتسلَّل إليها المؤمن سرّاً كعالمه الخاص القبيح، فهو يُدرك أنَّ الله **"ليست خليقةٌ غير ظـــاهرة قدَّامه، بل كلُّ شيء عُريانٌ ومكشوفٌ لعينَيْ ذلك الذي معـــه أَمْرُنـــا"** (عب ٤: ١٣)؛ والمؤمـــن لا يعـــود ينحصر في ذاتـــه(٤) وخاصته، وإنما

---

(٤) بمعنى ألاَّ يكون أنانياً، ولكن يدين أخطاءه هو؛ كما أنَّ اهتمامه بالغير يعني أن يحبهم ويخـــدمهم دون أن يتدخَّل في شئونهم أو يدين أخطاءهم، فهذا تجاوز لوصية عدم الإدانة (مت ٧: ١؛ لو ٦: ٣٧).

هـــو لله والقريب، ويصير الكل عائلتـــــه، فـــــلا يعـــرف التعصُّـــب والانحيـــاز أو الكراهية، وقلبه يتَّسع بالحبِّ للعالم كلِّه.

بالطبع، فإنَّ المؤمن لا يُجاهد وحده، وإنما تسانده النعمة بـــالروح القدس الذي يسكنه، والقـــوة التي يستمدها من اتصاله بالكرمة الحقيقيـــة يســـوع المسيح (يو ١٤: ١). فإذا فَعل صالحاً يملؤه الروح بالفرح، وإنْ حاصرته الآلام يُعزِّيه؛ أما إن انحرف وأخطأ، فإنه يخضع للتبكيت والتأنيب، فلا يبقى في خطيته ويستعذبها، وإنما يسعى للرجوع والتوبة. فهو تحت حراسة الـــروح ورقابتـــه لحماية خلاصه وميراثه الأبدي: **"لأنكـــم لستم تحت الناموس بـــل تحـــت النعمة"** (رو ٦: ١٤).

أما غير المؤمن، فلا تتوفر له هذه الرعاية والمحاسبة الداخليـــة إلاَّ علـــى مستوى الضمير الذي يمكن التحايُل عليه. ومع دوام انحراف القلب ومحبـــة الخطيـــة، يخفُت صوت الضمير إلى أن يموت، ويتخبَّط صاحبه في ظـــلامٍ كامل.

ويمكن القول إنه رغم أنَّ كل الأديان تتضمن وصايـــا أخلاقية، إلاَّ أنَّ تنفيذها يصبح ضربـــاً من المستحيل في غياب النعمة. فالإنســـان بذاتـــه لا يمكن أن يصير بارّاً.

من ناحيةٍ أخرى، فإنَّ الحياة الأبدية، التي هي الهدف النهائي للمـــؤمن، تعكس ذاتها على **الأخلاق المسيحية**. فأعمال المؤمن يذكرها له الـــرب في مجيئه في اليوم الأخير شهادةً على صدق إيمانه؛ وجسده الذي شارَك المؤمن في عبادته وجهاده وخدمته، وبعد أن يطويه الموت، يقـــوم ويتمجَّـــد في الملكوت الأبدي (١كو ١٥: ٤٣،٤٤).

هذا يسند المؤمن في جهاده في العالم، إذ يوقِن أن أعمال إيمانه لا تنحصر في الأرض، ولكنها ترتبط أساساً بالمصير الأبدي. وهذا ليس أكلاً وشُربا، وإنما هو **"برٌّ وسلامٌ وفرحٌ في الروح القدس"** (رو ١٤: ١٧).

في المقابل، فإنَّ جانباً من غير المؤمنين، المتغرِّبين عن روح الله، يُمارسون الخير كما لقومٍ عادة لحساب العالم الحاضر، ولا رجاء لهم في أكثر، والموت بالنسبة لهم هو نهاية كل شيء. وهؤلاء ينطبق عليهم ما كتبه بولس الرسول عن **"الإنسان الطبيعي"** الذي **"لا يقبل ما لروح الله، لأنه عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه"** (١كو ٢: ١٤). وهناك جانب آخر من غير المؤمنين يفعلون الخير إرضاءً لذواتهم، كما ينالون مديح الناس، وفي إيمانهم أن حسناتهم تمحو سيِّئاتهم، وسيُجازون عنها خيراً بعد الموت في حياةٍ أخرى هي أيضاً في الجسد.

■ المسيح هو مثالنا:

المسيح هو النموذج الكامل **للأخلاق المسيحية**. وهو، بموته وقيامته، وهبنا الحياة الأبدية بعمل الروح القدس، وقدَّم لنا نفسه المثال الذي ينبغي أن نقتدي به فعلاً وقولاً: **"تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحةً لنفوسكم"** (مت ١١: ٢٩). ومُعلِّمنا القديس بولس يكتب للمؤمنين: **"فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه"** (كو ٢: ٦)، **"كونوا متمثِّلين بي، كما أنا أيضاً بالمسيح"** (١كو ١١: ١).

+ فالمسيح هو مثالنا في **المحبة الباذلة** حتى الموت، والتي قال عنها: **"ليس لأحدٍ حُبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبَّائه"** (يو ١٤: ١٣). وهو لم يكتفِ بالقول، بل مضى إلى الصليب والموت:

"كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأَسْلَم نفسه لأجلها" (أف ٥: ٢٥).

وهو أحب كل البشر، خاصةً الخطاة (مت ١١: ١٩؛ لو ٧: ٣٤)، وجاء يطلب خلاصهم (لو ١٩: ١٠؛ ١تي ١: ٥) داعياً إيَّاهم إلى التوبة (مت ٦: ١٣؛ ١٢: ٧؛ مر ٢: ١٧؛ لو ٥: ٣٢)، وأوصانا أن نحبَّ بعضنا بعضاً كما أحبنا هو (يو ١٥: ١٢). وكما كان الرب يجول يصنع خيراً ساعياً وراء الخطاة لإنقاذهم، فنحن الذين صرنا تلاميذه، مُطالَبون أن نهتم بكل واحد من البعيدين، مبشرين بخلاصه، مُكمِّلين خدمة الرب.

+ والمسيح هو مثالنا في **الاتضاع والتجرُّد**، فقد **"أخلى نفسه، آخِذاً صورة عبد، صائراً في شِبْه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسانٍ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب"** (في ٢: ٧،٨). وفي تجسُّده، اختار فتاة فقيرة من عامة الناس، ومن مدينة كانت دائماً في الظل. وعند ميلاده، لم يكن له مكان في المترل، فوُلِدَ في مذود (لو ٢: ٧). ولما بدأ خدمته في الثلاثين، لم يكن له بيته الخاص الذي يُسند فيه رأسه، كأنه أدنى من الثعالب وطيور السماء (مت ٨: ٢٠؛ لو ٩: ٥٨)؛ ولا كان يحمل كيساً، كما أوصى بذلك تلاميذه (مت ١٠: ٩؛ ١٧: ٢٤-٢٧؛ لو ١٠: ٤).

وقد انحنى، وهو السيِّد والمعلِّم، وغَسَلَ أرجل تلاميذه، وقال إنه أعطاهم مثالاً حتى كما صنع بهم يصنعون هم أيضاً (يو ١٣: ٤-١٥). لا مجال، إذاً، لأتباع المخلِّص أن يتعالوا على الآخرين، أو يتفاخروا بما يملكون ويحتقرون غيرهم، أو ينغلبوا من محبة المال، أو يسعَوْا للمكان الأول، طالما أنهم يقتفون خُطَى سيِّدهم.

+ والمسيح هو مثالنا في **احتمال الآلام**. فهو من أجل خلاصنا، ارتضى بالموت الأليم. وهو سبق فأنبأنا عمَّا سوف يُصادفنا من اضطهاداتٍ وآلام (يو ١٥: ٢٠). فمرأى يسوع المصلوب هو سند وتعزية للمؤمنين الذين يُحاصرهم الاضطهاد، العائد إلينا بقوةٍ هذه الأيام. ولنا هذه الوصية من رسالة العبرانيين: **"لنُحاضِر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مُستهيناً بالخِزي"** (عب ١٢: ١، ٢).

+ والمسيح هو مثالنا في **الوداعة والتسامُح مع المسيئين**. فلم يكن يُخاصم أو يصيح (مت ١٢: ٩)، **"وإذ شُتِم لم يكن يشتم عِوَضاً"** (١بط ٢: ٣)؛ بل إنه طلب الغفران لصالبيه (لو ٢٣: ٣٤). وصَفَحَ عن تلاميذه الذين تركوه في محنته وهربوا (مت ٢٦: ٥٦؛ مر ١٤: ٥٠-٥٢). وغفر لتلميذه الذي أنكره أمام أدنى الناس (مت ٢٦: ٧-٧٤؛ مر ١٤: ٦٨-٧١؛ لو ٢٢: ٥٧-٦٠؛ يو ١٨: ١٧، ٢٥-٢٧).

والرب أوصانا أن نغفر للآخرين بغير حدٍّ (مت ١٨: ٢٢؛ لو ١٧: ٤). والكتاب يوصينا أن نُسامح وأن نغفر كما غفر الرب لنا: **"كونوا لُطفاء بعضُكم نحو بعضٍ، شفوقين مُتسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح"** (أف ٤: ٣٢)، **"محتملين بعضكم بعضاً، ومُسامحين بعضكم بعضاً إنْ كان لأحدٍ على أحدٍ شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً"** (كو ٣: ١٣). فأنْ نتصلَّف ونترفَّع عن التسامُح واحتمال أضعاف الضعفاء، يعني أننا نُنكر المسيح.

+ والمسيح هو مثالنا في **التحنُّن** على الضعفاء والمرضى والمتألِّمين، فخدمته اليومية كانت أن يلتقي بهؤلاء الذين يتزاحمون عليه، وينثر عليهم رحمته وتحنُّنه؛ يلمسهم أو يلمسونه ولو هُدْب ثوبه. وسيظل إخوة يسوع هؤلاء أمامنا كل حين، لكي نستكمل معهم رحمته، ولنا وعده: **"طوبى للرحماء لأنهم يُرحَمون"** (مت ٥: ٧).

■ دستور الأخلاق المسيحية:

"الأخلاق المسيحية" لم تبتدعها الكنيسة أو المسيحيون، ولكنها القانون الذي صاغه الرب يسوع، وعلَّمنا إيَّاه خلال سنوات خدمته الثلاث بسلوكه وكلماته، وقدَّم نفسه مثالاً لكي نتبعه. ومن سيرة المسيح ووصاياه تعلَّم تلاميذه ورُسله، وسجَّلها البشيرون الأربعة في **"إنجيل يسوع المسيح ابن الله"** (مر ١: ١). وهي كانت محور خدمة الرسل، كما جاءت في سِفْر الأعمال، وكانت أساس ما كتبوه من رسائل إلى الكنائس أو إلى تلاميذهم(٥).

دستور **"الأخلاق المسيحية"** ومرجعها الأساسي، إذاً، هو **الكتاب المقدس**(٦)، وفي المقام الأول **"العهد الجديد"**. ويمكن القول إنَّ القاعدة المركزية لـ **"الأخلاق المسيحية"** هي **"محبة القريب"**، وهي **"الوصية الثانية والعُظمى"**، الوجه الآخر للوصية الأولى والعُظمى،

---

(٥) فالقديس بولس يكتب لتلميذه تيموثاوس بهذا المعنى: **"إنْ كان أحدٌ يُعلِّم تعليماً آخر، ولا يُوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، والتعليم الذي هو حسب التقوى، فقد تَصلَّف، وهو لا يفهم شيئاً"** (١تي: ٣، ٤).

(٦) فكما أنَّ لكل جهاز كُتيِّب يشرح كيفية استخدامه، يسمُّونه manual؛ فالكتاب المقدَّس هو الـ manual لمعرفة أُسس السلوك المسيحي وكيفية تفعيله وممارسته.

وهي **"محبة الله"**، التي تُشكِّل قاعدة علاقتنا المباشرة مع الله، إيماناً وعبادةً وحفظاً لوصاياه، وتطلُّعاً إلى الحياة الأبدية.

على أننا لا نقسم محبتنا بين الله والقريب، لأنها محبة واحدة. فمحبتنا للآخر، هي الدليل أننا نحب الله؛ ومحبتنا لله، تشهد لها محبتنا للقريب: "**إنْ قال أحدٌ: إني أُحِبُّ الله وأبغض أخاه** (أو أيّاً من أقاربه بالجسد أو غيرهم)، **فهو كاذبٌ. لأن مَن لا يحبُّ أخاه الذي أَبصره، كيف يقدر أن يُحِبَّ الله الذي لم يُبصره؟ ولنا هذه الوصية منه: أنَّ مَن يُحِبُّ الله يُحِبُّ أخاه أيضاً**" (١يو ٤: ٢٠،٢١)، "**كلُّ مَن يُحِبُّ فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله. ومَن لا يُحِبُّ لم يعرف الله، لأن الله محبة**" (١يو ٤: ٨).

و"**محبة القريب**" لم تكن بذاتها وصية جديدة، وإنما الجديد أنَّ الرب وسَّع معنى "القريب"، الذي كان يقتصر على الأهل والأقارب، ليكون كل البشر من حولنا بمَن فيهم الأعداء والغرباء، ومَن يختلفون عنَّا في العقيدة واللون والأصل والثقافة وغيرها. هؤلاء هم أقارب المسيحي الجُدُد الذين ينبغي أن يحبهم كنفسه، كما أوضح الرب هذا المعنى في مَثَل "السامري الصالح" (لو ١٠: ٢٩-٣٧) الذي أنقذ عدوَّه من الموت. وطلب الرب من كل مؤمن أن "**اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا**". واقع الأمر أننا نتدرَّب على المحبة في دائرة العائلة، ثم مع الأصدقاء، ثم نمتدُّ إلى العالم المتَّسع حيث الاختبار الحقيقي للمحبة المسيحية.

والآيات التي تحضُّ على "محبة القريب" أكثر من أن تُحصَر: "**هذه هي وصيتي أن تُحِبُّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم**" (يو ١٥: ١٢)، "**لا تكونوا مديونين لأحدٍ بشيء إلاَّ بأنْ يُحِبَّ بعضكم بعضاً، لأنَّ مَن**

أحب غيره فقد أَكمل الناموس" (رو ١٣: ٨)، **"لتثبُت المحبة الأخوية"** (عب ١٣: ١)، **"فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدَّة"** (١بط ١: ٢٢)، **"أيها الأحبَّاء، لنُحِبَّ بعضنا بعضاً، لأنَّ المحبة هي من الله"** (١يو ٤: ٧).

وفيما يلي نورد الأساس الكتابي لأبرز الأخلاق المسيحية. وسنُلاحِظ أنها تتداخل فيما بينها، فهي كلٌّ لا يتجزَّأ. وصفات مثل الوداعة والتواضُع واللُّطف، يصعب أن تستقل عن بعضها.

(١) الاتضاع:

ما يجعل الاتضاع على رأس **الأخلاق المسيحية**، هو أنَّ الرب وصف نفسه أنه **"وديع ومتواضع القلب"** (مت ١١: ٢٦). والآباء يَرَوْنَ في الاتضاع فضيلة ولُود، فينبثق منها العديد من الفضائل المسيحية، كما أنَّ الوداعة هي مزيجٌ من الاتضاع والتسامُح واللُّطف وبساطة القلب.

والربُّ أرانا أنَّ العظمة الحقيقية أن نكون آخِر الكل وخُدَّاماً للكل (مر ٩: ٣٥)، مُبيِّناً أنَّ **"مَن يرفع نفسه يتَّضع، ومَن يضع نفسه يرتفع"** (مت ٢٣: ١٢؛ لو ١٤: ١١؛ ١٨: ٢٤). وهو جَعَلَ **"إنكار الذات"** الالتزام الأول لِمَن يريد أن يتبعه: **"إن أراد أحدٌ أن يأتيَ ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"** (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣). فمَن أنكر ذاته، أي مَن اتَّضع، يمكن أن يحب ويهب ويخدم ويبذل، ويحتمل ويُسامح ويُسالم، ويُشجِّع الضعفاء، ويحمل أثقال الآخرين (غل ٦: ٢)، ويتأنَّى على الجميع (١تس ٥: ١٤)؛ كما يقدر أن يتنازل ويتأسَّف ويعتذر إنْ جانَبَه الصواب،

وينجو من العناد والغضب وتداعياته، ويقبل من أجل المسيح الأتعاب والآلام.

وعلى نهج الرب يحثُّنا مُعلِّمنا بطرس الرسول أن **"تسربلوا بالتواضُع... تواضعوا تحت يد الله القويَّة لكي يرفعكم في حينه"** (١بط ٥: ٥،٦). كما يُوصي الرسول بولس أيضاً أن نكون **"غير مهتمين بالأمور العالية، بل مُنقادين إلى المتَّضعين"** (رو ١٢: ١٦)، أي: ألاَّ نتطلَّع إلى الغِنَى والرفاهية، ولا نتعالى على بسطاء الحال، مُقدِّمين بعضنا بعضاً في الكرامة (رو ١٢: ١٠). وفي تعامُلنا مع المُخطئ لا نُحاكِم (رو ١٤: ١٣)، بل نجتهد أن نُصْلِحه بروح الوداعة: **"ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضاً"** (غل ٦: ١). ونحن إذ نتواضع لا نتنازل، وإنما نحن نُقرُّ بحقيقة أنفسنا، وأننا بدون النعمة لا نساوي شيئاً، ولا نقوى على فعل شيء: **"لأن الله هو العامل فيكم أن تُريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة"** (في ٢: ١٣).

(٢) التسامُح والاحتمال:

لم يضع الرب حدّاً لعدد مرات التسامُح إزاء الآخرين **"بل إلى سبعين مرَّة سبع مرَّات** (كل يوم)" (مت ١٨: ٢٢). والمسيحي، وهو يسامح، لا يتفضَّل على الله أو الناس، لأن الله سبق وسامحه وغفر خطاياه بالدم: **"كما سامحكم الله أيضاً في المسيح"** (أف ٤: ٣٢). والكتاب يحثُّنا: **"أن نحتمل أضعاف الضعفاء... وأن يُرضي كل واحد منَّا قريبه للخير لأجل البنيان... وأن نقبل بعضنا بعضاً كما أنَّ المسيح أيضاً قَبِلنا لمجد الله"** (رو ١٥: ١،٢،٧).

وليس التسامُح حيلة العاجز أمام تجبُّر العالم، ولكنه في حقيقته دليل القوة وعدم الانصياع للردِّ على الشرِّ بالشرِّ (رو ١٢: ١٧؛ ١تس ٥: ١٥؛ ١بط ٣: ٩) (الذي هو انتصار للشرِّ ودوام هيمنته)، في حين أن مُجابهة الشر بالخير تغلبه (رو ١٢: ٢١) وتُوقِف دوران عَجَلته، وتفتح ثغرة للمعتدي كي يتوقَّف ويعود إلى صوابه ويفلت من سجن كراهيته، وهكذا يربح الطرفان(٧).

والمؤمن إنْ لم يُسامح، فهو يُنكر المسيح وإنجيله، وسيسري عليه ما جاز على العبد الرديء الذي سامحه سيده بالكثير، ولكنه رَفَضَ أن يُسامح مَن دانه بالقليل، فاستحقَّ على العبد العقاب حتى يُوفِي كل ما عليه (مت ١٨: ٢٣-٣٢).

(٣) العفَّة وطهارة الحواس:

المسيحي المُتَّشح بالنعمة يأبَى الفساد الذي في العالم (٢بط ١: ٤)، حافظاً نفسه بلا دنس (يع ١: ٢٧)، وأعضاؤه كلها تصير للمسيح (١كو ٦: ١٤).

+ عن نقاوة القلب:

"الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرِج الصالحات، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرِج الشرور... فإنه من فَضْلة القلب يتكلَّم فمه" (مت ١٢: ٣٥؛ لو ٦: ٤٥)؛ **"كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة"** (مت ٧: ١٧)؛ **"فوق كل تحفُّظ احفظ قلبك، لأن منه مخارِج الحياة"** (أم ٤: ٢٣)؛ **"ولا يجعلون خمراً جديدة** (الحياة الجديدة) **في زِقاقٍ عتيقة** (قلب لم يؤمن)، **لئلا تَنْشقَّ الزقاق، فالخمر تَنْصَبُّ**

(٧) منذ عام ١٩٩٥ قررت الأمم المتحدة أن يكون يوم ١٦ نوفمبر "اليوم العالمي للتسامح" باعتبار التسامح قمة والشجاعة والتحضر والنضج والأخلاق وهو المدخل لمنع الصدام والخلافات والحروب بين الدول.

والزقاق تتلف (إشارة إلى الفشل). بل يجعلون خمراً جديدة في زِقاقٍ جديدة فتُحفَظ جميعاً" (مت ٩: ١٧).

+ عن قداسة الجسد:

"ألْبسوا الربَّ يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات" (رو ١٣: ١٤)؛ "أم لستم تعلمون أنَّ جسدكم هو هيكلٌ للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم قد اشْتُرِيتُم بثمنٍ. فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو ٦: ١٩،٢٠)؛ "اسلكوا بالروح فلا تُكمِّلوا شهوة الجسد... الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥: ١٦،٢٤)؛ "أطلب إليكم كغُرباءَ ونُزلاءَ، أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تُحارِب النفس" (١بط ٢: ١١)؛ "لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلِّصة لجميع الناس، مُعلِّمةً إيَّانا أن نُنكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقُّل والبرِّ والتقوى في العالم الحاضر" (تي ٢: ١١،١٢)؛ "احفظ نفسك طاهراً" (١تي ٥: ٢٢)؛ "أمَّا الشهوات الشبابية فاهرب منها، واتْبَع البرَّ والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يَدْعُون الربَّ من قلبٍ نقي" (١تي ٢: ٢٢)؛ "لأنه إنْ عشتُم حسب الجسد فستموتون، ولكن إنْ كُنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستَحْيَوْنَ" (رو ٨: ١٣).

+ عن طهارة الحواس:

"كل مَن ينظر إلى امرأةٍ ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه. فإنْ كانت عينك اليُمنى تُعثرك فاقلعها وألقِها عنك (بتغيير القلب الذي هو نبع الخير

والشر)" (مت ٥: ٢٨،٢٩، ١٥: ١٩)؛ **"وإن كانت يدُك اليُمنى تُعثرك فاقطعها وألقِها عنك"** (مت ٥: ٣٠؛ ١٨: ٨،٩)؛ **"اطرحوا عنكم الكذب، وتكلَّموا بالصدق كل واحدٍ مع قريبه** (فالكلام صريح مستقيم، لا يعرف الرياء أو الالتواء أو المراوغة)... **لا تخرج كلمةٌ رديَّة من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً للبُنيان، حسب الحاجة، كي يُعطِيَ نعمةً للسامعين"** (أف ٤: ٢٥،٢٩)؛ **"ولا القباحة، ولا كلام السَّفاهة، والهَزْل** (والنميمة والثرثرة الفارغة) **التي لا تليق"** (أف ٥: ٤)؛ **"لا تحلفوا البتَّة... بل ليكُن كلامكم: نعم نعم، لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير"** (مت ٥: ٣٤،٣٧؛ يع ٥: ١٢)؛ **"إنْ كان أحدٌ لا يَعْثُر في الكلام فذاك رجلٌ كامل، قادرٌ أن يُلْجِم كل الجسد أيضاً"** (يع ٣: ٢)؛ **"إنَّ كل كلمة بطَّالة يتكلَّم بها الناس سوف يُعطُون عنها حساباً يوم الدِّين، لأنك بكلامك تتبرَّر وبكلامك تُدان"** (مت ١٢: ٣٦،٣٧).

(٤) ضَبْط النفس:

+ المسيحي متوازِن ضابطٌ لنفسه (تي ١: ٨)، لا ينساق وراء عواطفه، ولا تستولي عليه غرائزه الفطرية. والنعمة كَفَلَت له تقديس إرادته، ومِن ثمَّ التحكُّم في رغباته ليُتمِّم كلَّ برٍّ. والضبط الخارجي يعكس باطناً نقيّاً يسنده الروح (الذي أحد ثماره "التعفُّف" self control – غل ٥: ٢٣)، وإلاَّ صار نوعاً من الكبت لا يمكن أن يدوم، وكلمة الله أمامه توصيه وتُنير له الطريق:

"كل مَن يُجاهد يضبط نفسه في كل شيء" (١كو ٩: ٢٥)؛ **"امتنعوا عن كل شِبْه شر"** (١تس ٥: ٢٢)؛ **"فانظُروا كيف تسلكون**

بـــالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة" (أف ٥: ١٥،١٦).

+ وبحسب الوصية، فالمسيحي يسعى بقدر طاقته أن يُسالِم جميع الناس (رو ١٢: ١٨؛ ١تس ٥: ١٣)، وهـــو يتجنَّب **"المباحثـــات الغبيَّـــة والسخيفة... عالماً أنها تُولِّد خصومات"** (٢تي ٢: ١٣؛ تي ٣: ٩). أما إذا جاء مَن يتجاوز ويهاجم، فالمؤمن لا يتسرع في الردِّ، بل يطلـــب معونـــة الروح، فيتماسك ويتروَّى حتى لا يفقد المنطق وحُسْن التصرُّف: **"لـــيكن كل إنسان مُسرعاً في الاستماع، مُبطئاً في التكلُّم، مُبطئاً في الغضـــب، لأن غضب الإنسان لا يصنع برَّ الله"** (يع ١: ١٩،٢٠)؛ **"إن كان أحـــدٌ فيكم يظُنُّ أنه دَيِّنٌ، وهو ليس يُلجم لسانه، بل يخدع قلبه، فديانة هـــذا باطلةٌ"** (يع ١: ٢٦).

+ وإن كانت غريزة الغضب هي في أساسها للدفاع عن الكيان، لكنها في المسيح هي للدفاع عن الحقِّ وعن الإيمان، فتتجرَّد من انفـــلات الأعصـــاب وانزلاق اللسان إلى الإسفاف والإهانة: **"اغضبوا ولا تُخطئوا"** (أف ٤: ٢٦). فالمسيحي لا يُجازي الشريـــر بشـــرِّه (١بـــط ٣: ٩) طـــائعاً الوصـــية: **"لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحبَّاء، بل أَعطوا مكاناً للغضـــب** (غضـــب الله الذي يُجازي)" (رو ١٢: ١٩). وهو في انحيازه للحق لا يُجامل على حسابه ولا ينحاز أو يُحابي (يع ٢: ١)، ولا يتعصَّب، فـــذلك ســـلوك الجســـديين (١كو ٣: ٣،٤) والطائفيين، وليس نهج السالكين بالروح (غل ٥: ١٦) أتباع المسيح الذي مات لأجل الجميع (٢كو ٥: ١٥).

+ وعن ضبط المسيحي لحاجات الجسد، تُلهمه هذه الآيات: **"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله"** (تث ٨: ٣؛ مت ٤: ٤؛ لو ٤: ٤)؛ **"لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، أو ماذا نلبس؟ فإنَّ هذه كلها تطلبها الأُمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه، وهذه كلها تُزادُ لكم"** (مت ٦: ٣١-٣٣)؛ **"لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح"** (أف ٥: ١٨)؛ **"انظروا وتحفَّظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحدٍ كثير، فليست حياته من أمواله"** (لو ١٢: ١٥)؛ **"لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضحٌ أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإنْ كان لنا قُوتٌ وكِسْوةٌ، فلْنَكْتَفِ بهما. وأمَّا الذين يُريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربةٍ وفَخٍّ وشهواتٍ كثيرة غبيَّة ومُضرَّة، تُغَرِّق الناس في العَطَب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلُّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاعٍ كثيرة"** (١تي ٦: ٦-١٠)؛ **"كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط عليَّ شيء"** (١كو٦: ١٢).

(٥) الرحمة والخدمة:

مثلما كان الرب رحيماً متحنِّناً على المحتاجين والمتألِّمين، ومُشارِكاً في الأفراح (يو ٢: ١-١١) والأحزان (يو ١١: ١-٤٥)؛ هكذا يكون المسيحي، وهكذا يوصي الكتاب. والرب طوَّب الرحماء (مت ٥: ٧)، ودعا المحتاجين إخوته الأصاغر، وجعل خدمتهم كأنها مُقدَّمة لشخصه المبارك: **"فكونوا رحماء كما أنَّ أباكم أيضاً رحيم"**

(لو ٦: ٣٦)؛ **"إني أُريد رحمة لا ذبيحة"** (هو ٦: ٦؛ مت ٩: ١٣؛ ١٥: ٧)؛ **"لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يُسرُّ الله"** (عب ١٣: ١٦)؛ **"مشتركين في احتياجات القدِّيسين** (هكذا يدعوهم الرسول بولس)" (رو ١٢: ١٣)؛ **"بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبِي فعلتم"** (مت ٢٥: ٤٠)؛ **"ومَن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ، فالحق أقول لكم إنه لا يُضِيعُ أَجره"** (مت ١٠: ٤٢)؛ **"الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه، إذ قد خدمتُم القدِّيسين وتخدمونهم"** (عب ٦: ١٠)؛ **"فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين"** (رو ١٢: ١٥)؛ **"اذكروا المُقيَّدين** (كل مَن هم في ضيقة) **كأنكم مُقيَّدون معهم، والمُذلّين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد"** (عب ١٣: ٣).

■ كيف نَثْبُتْ في الأخلاق المسيحية؟:

نعرف أن الروح هو الذي يفعّل الإيمان ويُضرم فيه النار المقدسة، فيتحول إلى طاقة تغيّر القلب، الذي منه تصدر أعمال الإيمان وما تعكسه على السلوك والأخلاق. ولكن كما أن المستوى الروحي للمؤمن يمكن أن يتراجع إذا اهتزت علاقته بالله، ودبّ الضعف في جوانب عبادته، فبالتداعي يمكن أن تتأثر سماته الأخلاقية بعد أن تفقد العناصر التي تبث فيها القوة والثبات، فيطرأ على سلوكه ما لم يكن فيه، كأن يرتدّ إلى بعض أمور الماضي السلبية التي كان قد عفّ عنها لما تجددت حياته، أو أن يترلق إلى صحبة سيئة تغير نمط حياته وتصرفاته وهو ما يحذّر منه الكتاب **"أن المعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق الجيدة"** (١كو١٥: ٣٣).

من هنا يصير هدفاً أساسياً: كيف تبقى أخلاقنا المسيحية، ليس فقط ثابتة لا تتراجع، بل أن تنمو وتتأصل يوماً بعد يوم. نعم، أخلاقنا المسيحية تحتاج دائماً وقوداً يضمن لها ديمومتها وحيويتها، ويعمق جذورها بما يمجّد اسم الله. بغير ذلك يمكن أن يُختزل سلوكنا في تصرفات شكلية وممارسات سطحية: محبة بالكلام واللسان، ابتسامات ورياء ولباقة وتسامح مفتعل، وفي الباطن تكمن الخطايا القديمة والكراهية، فلا الشخص قادر أن يتخلى عن مظهره اللطيف الذي يُرضي الناس، وفي نفس الوقت هو عاجز عن تغيير باطنه المعتاد. هكذا يصير واحداً من أصحاب التدين الزائف الذين لهم صورة التقوى ولكنهم في حقيقتهم متغربون عن الإيمان.

ونحن هنا نعرض لمنابع القوة والنمو التي توفرها لنا نعمة الله، لكي يظل المؤمن مسيحياً قلباً وقالباً، ظاهراً وباطناً:

(١) الاقتداء بالمسيح وقديسيه:

نحن إذ نقتدي بالمسيح نستجيب لوصية الرب أن **"تعلّموا مني"** (مت١١: ٢٩)؛ وقول الكتاب ".. **لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع**" (عب١٢: ١، ٢). فالرب يظل هو النموذج والمثال الأول للسلوك بحسب الإنجيل. كما أن قديسيه وشهداءه هم إخوتنا الذين سبقونا في اختبار محبة الله وطاعة شريعته، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت **"انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم"** (عب١٣: ٧). لقد كانوا بشراً تحت الآلام مثلنا، لكنهم بمعونة النعمة استطاعوا أن يغلبوا العالم وإبليس وشهوات جسدهم، وأن يدخلوا

إلى المجد "**فتفكّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هـذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم**" (عب١٢: ٣).

فالنظر إلى الرب المصلوب من أجل خلاصنا، وإلى الذين تبعوه وعاشوا وماتوا له، يحفظنا في طريق الإيمان وطاعة الوصية. وقياس أعمالنا وأخلاقنا على سيرة الرب وقديسيه يدفعنا إلى تحدي الظروف المضادة، مسنودين بالنعمة وممسكين بالحياة الأبدية التي إليها دعينا (١تي٦: ١٢)، وساعين إلى ما هو أفضل لكي نكون نحن أيضاً قدوة في الإيمان والمحبة (١تي ٤: ١٢، تي ٢: ٧).

والاستشهاد من أجل المسيح لم يعد تاريخاً مضى، ولكنه الآن حاضر كل يوم في قُرانا في الشمال والجنوب، وفي كل البلاد من حولنا حيث ينشط العدو ذبحاً وصلباً وحرقاً وتفجيراً للصغار والكبار نساءً ورجالاً، وتهجيراً للآلاف إلى المجهول، معتازين مكروبين مذلّين، تائهين في البحر الذي ابتلع الكثيرين، حافظين إيمانهم وقابلين الآلام والموت من أجل محبتهم للملك المسيح.

(٢) الصلاة والصوم:

نحن في **الصلاة** ندخل في شركة مع الثالوث. فالصلاة الربانية مقدمة **للآب** الذي في السموات، **بالمسيح يسوع ربنا**، و"**الروح نفسه** يشفع فينا بآنّات لا ينطق بها" (رو٨: ٢٦). وبصدق الصلاة وعمقها وتواترها نتغير بالنعمة يوماً بعد يوم "**إلى تلك الصورة عينها**" (٢كو٣: ١٨)، صورة ابن الله (رو٨: ٢٩)، فتصير "**وصاياه ليست ثقيلة**" (١يو٥: ٣)، ونعيش بالطهارة والصدق والأمانة، ونقتني وداعة المسيح واتضاعه، ونمتلك زمام

أنفسنا، وبغير تعصّب أو إدّعاء نغفر ونحتمل ونسامح ونتنازل ونغلب الكراهية والكبرياء، وننسى الإساءة ونطرحها تماماً حتى من الفكر، ولا نتراجع عن التعهد، ونتشدد أمام التجارب وظلم الآخرين، وكأن **"قوة من الأعالي"** هي التي تعمل فينا وتصدر عنها أفعالنا، ونرى في كل من حولنا وجه المسيح، وفي كل المحتاجين إخوته الأصاغر الذين نردّ لهم تحنن الرب علينا واتساع قلبه من نحونا.

وبالصوم نغلب العبودية للقمة والعيش، وينطفئ في عيوننا بريق المال والأشياء، وتنضبط ميول الجسد ومحبة الذات وقد صُلب الجسد مع الأهواء والشهوات (غل٥: ٢٤)، فتنتعش حياتنا الروحية وننحاز بالقول والفعل إلى **"كل ما هو حق وجليل وعادل وطاهر ومُسرّ وصيته حسن"** (في ٤: ٨)، ونعيش **"كما يحق لإنجيل المسيح"** (في١: ٢٧).

وفي أعمالنا لن يمكن شراء ذِمَّتِنا، أو شهادتنا بغير الحق، أو إغراؤنا بالمال أو الشهوة، فصومنا لم يكن توقّفا جسدياً عن الطعام بقدر ما كان دعوة للنعمة لتقديس كل نشاطات الجسد وإخضاعها لعمل الروح.

(٣) كلمة الله:

إذا كان الكتاب هو دستور الأخلاق المسيحية[٨]، فاللهج فيه وحفظه يثبّت الوصية، ويذكّر بتلك التي طواها النسيان وسط الهموم، كما يتيح اكتشاف جوانب جديدة في الوصية.

---

(٨) يشبهون **الكتاب المقدس "بالطبعة الزرقاء** Blue Print" التي تحتوي المخطط الهندسي للبناء بكل تفاصيله وبنيته التحتية والتي يعودون إليها كلما احتاج الأمر، أو هي المرجع الأساسي الذي يتضمن برنامج عمل المؤسسة من كل الجوانب، فكلمة الله هي أيضاً الـ "Blue print" لخطة حياة المؤمن واتجاه مسارها وأهدافها القريبة والبعيدة. ومن عنده هذا المخطط المفصّل الذي يرجع إليه كل يوم هو سائر في الطريق الصحيح، وحياته ستحقق النجاح مهما صادفه من صعاب.

كلمة الله هي **"روح وحياة"** (يو٦: ٦٣)، وهي طعام كل يوم، فهي **"اللبن العقلي العديم الغِشّ"** الذي ننمو به (١بط ٢: ٢). فنحن مسيحيون بقدر ما نعرف ونستوعب ونحفظ عن كلمة الله **"الحية الباقية إلى الأبد"** (١بط ١: ٢٣)، أي بقدر ما نتصل بشخص المسيح.

ولكي تبقى الوصية حية وفعالة، يلزم دوام حضورها في حياتنا اليومية. فالآية التي تبقى في الذاكرة وفي القلب تفرض نفسها، فيظل قانون الحياة محبة الله وطاعة وصاياه وحفظ أنفسنا بلا دنس، وامتداد المحبة إلى القريب الذي نرى فيه دوماً شخص المسيح، فنُقبل عليه ونساعده ونشاركه أتعاب الحياة وأثقالها، ونحتمله ونسامحه ونفرح معه ونأسى له، ونسعى لخدمته على كل وجه. وفي هذا كله نحن ننحاز للحق ونحكم بالعدل ولا نحابي بالوجوه.

كلمة الله هي سراج نهتدي بنوره خلال مسيرتنا في العالم، حيث تتعرض حياتنا كل يوم لمواقف في البيت والعمل والشارع تقتضي حسن التصرف. والكلمة المحفوظة في القلب تستدعي الاستجابة المناسبة، فنتفادي التردّي والخصام والعثرة إذا جاء الرد من فكر الجسد وليس من فكر الله.

وكلمة الله هي **"سيف الروح"** (أف٦: ١٧) الذي نمسك به في حربنا ضد العدو، فنتشدد ونقاومه راسخين في الإيمان (١بط ٥: ٩) وهكذا نحبط مؤامرته: فمقابل كل إغراء أو تجربة هناك الوصية المضادة التي تجرد الشرير من أسلحته وتُلحق به الهزيمة، وهكذا يهرب مدحوراً (يع ٤: ٧).

وكما هو متوقع، فإن التغرب عن الكتاب، الذي هو **"الحق"** (يو١٧: ١٧) و**"كلام الحياة الأبدية"** (يو٦: ٦٨)، يُسقط الأسوار الحامية

للحياة الروحية، فيحدث التراجع عن "الأخلاق المسيحية"، ويسمح بهجوم العدو خاصة في نواحي العفة والطهارة، والمؤمن الحقيقي يحتمل المشقات **"كجندي صالح ليسوع المسيح"** (٢تي ٢: ٣) ولا يتخلى عن سلاحه، ويظل ساهراً لئلاً يأخذ أحد إكليله (رؤ ٣: ١١).

(٤) التوبة:

يقول الآباء أن القداسة في حقيقتها هي حياة التوبة الدائمة. فالتوبة تظل هي وسيلة التصحيح كل الحياة، إذ تزيل أولاً بأول كل ما يقتحم حياتنا من الشرور والضعفات، فنستبقى علاقتنا الوثيقة بمخلصنا وإنعكاساتها على سلوكنا الأخلاقي.

التوبة تُبقي باب العودة إلى الأحضان الأبوية مفتوحاً إذا أصابنا الفتور، أو حدث الشرود بعيداً، أو التحلل من التزامات الحياة المسيحية، أو كسر أي وصية ترتبط بالأخلاق المسيحية، أو السقوط في التجربة بخداع الشهوة (يع١: ١٤)، أو بتغير الأحوال أو الاختلاط بجماعات السوء.

إبليس، من جانبه، بعد أن يُسقطنا، يوهمنا بانتهاء علاقتنا مع الله، ويميت فينا الرجاء أن تعود مسيرتنا كما كانت. ولكن الوصية تلهمنا بالرجوع مهما كان الخطأ **"اذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى"** (رؤ٢: ٥)؛ **"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم"** (١يو١: ٩)؛ **"وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عن الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً"**(١يو٢: ١).

التوبة تزيل ما علق بثوب البر الذي لبسناه في المعمودية، فيستعيد نقاءه **"أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه"** (لو ١٥: ٢٢). هكذا إذ نضلّ فنرجع، نعود لبراءتنا ومحبتنا الأولى، ونتصالح مع الله الذي سبق **"فصالحنا لنفسه بيسوع المسيح"** (٢كو ٥: ١٨، ٢٠)، ونسترد موقعنا عنده، من عبيد للخطية إلى جماعة البنين، حيث نلبس **"الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق"** (أف ٤: ٢٤). فبالتوبة تدبّ القوة في كل جوانب عبادتنا لله، وتنتعش محبتنا للقريب، ويشرق وجهنا المسيحي من جديد.

على أن الخطية، وإن صنعت حاجزاً بيننا وبين الله، ولكنها لا تُسقط بنوتنا لله كمخلَّصين. فالابن الضال الذي هجر بيت أبيه ظل موقعه الخالي هناك ينتظره. وهكذا إذ نرجع بالتوبة نجد الأذرع المفتوحة بالفرح **"يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة"** (لو١٥: ٧).

و**الاعتراف** قرين التوبة. فالتائب قد قطع علاقاته مع ما سقط فيه، وأعلن خصومته مع خطاياه المحبوبة. ويصير الاعتراف إعلاناً عن صدق التوبة، وتخليّا بلا رجعة عما انخدع به، وهو تعبير عن بهجة التخلص من هذا الاشتباك الذي انتهى بالمرارة.

التوبة الصادقة، لا المُدَّعاة التي يتصنّعها الشخص أمام الكاهن بغير أن يعترف بخطيته قدام الله، هي وحدها التي تستدعي غفران الله. الخاطئ الأمين الذي لا يخدع نفسه، فيرى خطاياه مثيرة للعار والازدراء، هو الذي ينال عنها الغفران الذي كفله دم الصليب. أما من لا يعترف بخطاياه ويكتمها، فلا ينجح في الخروج من دائرة الموت. التوبة الكاذبة هي إضافة جديدة لقائمة خطايا الخاطئ بدل أن تكون مفتاحاً للنجاة والغفران.

(٥) شركة الجسد والدم:

التناول من جسد الرب ودمه هو قمة عطايا الرب الثمينة، والذي يتصل مباشرة بذبيحة الصليب وموت الرب وقيامته. وهو سر حياة المؤمن **"فمن يأكلني فهو يحيا بي"** (يو٦: ٥٧)، وثبوته في المسيح الكرمة الحقيقية (يو٦: ٥٦، ١٥: ١) ونوال الحياة الأبدية (يو٦: ٥١، ٥٤). بالتناول (كما بالمعمودية – غل٣: ٣٧) نحن نلبس الرب يسوع (رو١٣: ١٤) ويثبُت فينا، وفيه تُغفر خطايانا فنخرج من هيكل الله بعد التناول أبراراً وكأننا لم نخطئ أبداً.

هذا التطهير والاغتسال المتجدد من الخطية الطارئة ["**الذي قد اغتسل** (آمن واعتمد) **ليس له حاجة إلا غسل رجليه**" (يو١٣: ١٠)] يجدّد سلوكياتنا ويبث فيها الحيوية، فتسطع فينا صورة المسيح. التناول يستثير فينا تنفيذ الوصية حيث المسيح الساكن فينا يجعل الوصية ممكنة، ويطرد كل ميل رديء، ويقطع كل علاقة بإنسان الخطية، وينشط الأخلاقيات المسيحية بروافدها: الوداعة والاتضاع والتسامح والطهارة والأمانة وضبط النفس والرحمة والخدمة، وكل هذه السلسلة الذهبية التي تزيّن المؤمن الحقيقي.

❁ ❁ ❁

ربما بدا تعبير **"الأخلاق المسيحية"** غير شائع في كتاباتنا الروحية [بل لم تأت كلمة "الأخلاق" (habits, characters بمعنى الطباع أو السمات) في الكتاب سوى مرة واحدة – ١كو ١٥: ٣٣]، ولكننا قَصَدنا أن نشير إلى سلوكيات المسيحي تجاه "الآخر" (أو "**القريب**" بحسب التعبير الكتابي) وأمام العالم بصورة عامة. وصفة "المسيحية" تعني أن الأخلاق ليست أموراً يفتعلها المسيحي كي يبدو هكذا، ولكنها نتاج طبيعي للإيمان بالمسيح،

وهبة النعمة التي صارت للمؤمن بخلاص المسيح. فأي محاولة لاتخاذ المظهر الأخلاقي، إدّعاءً، سرعان ما تنكشف ليبدو المعدن الحقيقي، فالطبع يغلب التطبع.

والأخلاق المسيحية هي وسيلة المؤمن العادي كي يشارك في تقديم المسيح والكرازة بإنجيله إلى العالم، على أساس أن كل المؤمنين هم تلاميذ للمسيح (مت٢٨: ١٩، أع١١: ٢٦، ١٤: ٢١).

ورغم ما يعانيه المسيحيون في منطقتنا حالياً من تمييز واضطهاد يصل أحياناً إلى تفجير الكنائس بمن فيها، وإلى تعرضهم للقتل والطرد من بيوتهم بل وتهجيرهم من أوطانهم، إلا أنهم مع هذا يظلّون نوراً لمن حولهم حتى وإن أنكر المضطهدون نورهم هذا تعصباً وكرهاً، ولكن تظل كتابات بعض غير المؤمنين تنصفهم وتشهد لهم وتمتدح أخلاقياتهم ومبادئهم، وتعترف بتأثيرهم في حياتهم(٩). بل إنهم رغم كل شيء يجتذبون كل يوم الكثيرين إلى الإيمان.

فلا يستصغر أي مؤمن شأنه، بل ليدرك أهمية دوره في العالم كتلميذ للرب يبشر من حوله بمبادئ المسيح، ويحقق وصيته بأن يضيء نوره قدام الناس، فيتمجد الله به. وهكذا إذ تربح وزناته يدخل مع سائر الأمناء إلى فرح السيد.

---

(٩) في مقال (٢٠١٥/٢/٢٨) للدكتورة وفاء سلطان الطبيبة السورية، كتبت عن مواطنيها المسيحيين: "ليس في سوريا خلق حميد إلا ما أورثه إياه المسيحيون. ليس في سوريا درس محبة إلا ما يُتلى في بيوتهم وكنائسهم. هم ملحُنا وسكّرنا، وطحين خبزنا، وأزهار حدائقنا... هم ظلوا أوفياء لتعليم إلههم. فأحبوا من عاداهم لأنهم لا يعادون، وأحسنوا إلى مبغضيهم لأنهم لا يبغضون، وباركوا لاعنيهم لأنهم لا يلعنون. يصادقون ولا يغدرون، يسامحون ولا يحقدون، يعطون ولا يطالبون.

العمل من منظور كتابي

العمل هو من صميم الطبيعة الإلهية. وإنْ كان مكتوباً أنَّ الله **"استراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل"** (تك ٢: ٢). فواقع الأَمْر أنَّ الله لا يتعب كي يحتاج أن يستريح، وراحته لا تعني توقُّفه عن العمل؛ وإنما المقصود من الكلمة **"استراح"**، أنه أعلن رضاه عمَّا عمله: **"ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جدّاً"** (تك ١: ٣١).

فها هي الأرض قد صارت مُهيَّأة لحياة البشر، الذين خلقهم الله ليُشاركوه مجده. وأنَّ عمله مستمرٌ، كضابط الكل، في رعاية الكون بمجرَّاته وضبط حركته. وهو دبَّر خلاص الإنسان بإرسال ابنه في ملء الزمان إلى العالم الذي يحبه، ليبذل نفسه، وينقل كل مَن يؤمن إلى ملكوته، ليحيا إلى الأبد.

وقد أشار الرب إلى هذه الحقيقة، ردّاً على الذين انتقدوه أنه شفى في السبت، قائلاً: **"أبي يعمل حتى الآن** (وإلى الأبد) **وأنا أيضاً أعمل"** (يو ٥: ١٧).

العمل أيضاً هو عنصر أساسي في حياة الإنسان. ومكتوبٌ أنَّ الرب، بعد أن جَبَلَ آدم، أَخَذَه ووضعه في جنة عدن **"ليعملها ويحفظها"** (تك ٢: ١٥). فحتى قبل السقوط والطرد من الجنة، كان على آدم – ومن بعده نسله – أن يعمل في الأرض، يستثمرها ليحصل منها على طعامه ولباسه ودوائه، ويحفظها ويعتني بها ويتسلَّط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كلِّ حيوان يدبُّ على الأرض، ويتعلَّم الصيد، ويستخدم الدواب في النقل وأعمال الزراعة وغيرها (تك ١: ٢٦-٣٠؛ ٩: ٢،٣).

لم يُوعَد آدم (ونسله)، إذاً، بالراحة والدِّعة؛ وإنما كُلِّف في الأساس بالعمل والجهد كبركة وضرورة حياتية، تهيَّأ لها بما وهبه الله من قدرات، ليتوفَّر له طعامه وكساؤه، وأن يتعهَّد بالرعاية مصادر غذائه، نباتاً وحيواناً. فلا حياة للجميع بغير تضافُر الكل في العمل الدءوب منذ مطلع الشمس. وبعد راحة الليل يُستأنف العمل من جديد.

■ عن العمل بعد السقوط:

بعد السقوط، فإنَّ العمل الذي كان قبلاً – رغم التعب – متعةً وفرحاً باقترانه برضا الله مع البركة والثمار، تحوَّل مع الخطية ليكون جزءاً من العقوبة. فصار شاقّاً أليماً، ويؤدَّى قسراً لا طوعاً: **"بالتعب تأكل منها** (من الأرض) **كل أيام حياتك... بعرق جبينك تأكل خبزاً حتى تعود**

إلى الأرض التي أُخِذتَ منها (أي إلى أن تموت وتعود إلى التراب)... **فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخِذَ منها"** (تك ٣: ١٧، ١٩، ٢٣)(١).

فيما بعد، كان الله في تحنُّنه يُبارك في عمل وتعب مَن يتَّقونه، ويُجازي المُخالفين بقلة البركة من نتاج عملهم. فلما قدَّم **هابيل** قرباناً للرب من أبكار غنمه ومن سمانها، **"نظر الرب إلى هابيل وقربانه"** (تك ٤: ٤)؛ بينما لم ينظر إلى **قايين** وقربانه من أثمار الأرض، لأن قلبه لم يكُن مستقيماً.

ورغم تحذير الرب لقايين كي يكبح الشر الذي يملأه إلاَّ أنه قام على أخيه وقتله. فلعنه الرب مع الأرض التي قبلت دم هابيل، وقال له: **"متى عَمِلْتَ الأرض لا تعود تُعطيك قوَّتها"** (تك ٤: ١٢). فتضمَّنت العقوبة أنَّ عمل الشرير، رغم الجهد، تتبدَّد ثماره، على عكس عمل الأُمناء المتَّقين، **كإبراهيم** الذي باركه الله جداً فصار عظيماً (تك ٢٤: ٣٥)، **وأيوب** البار (أي ١: ٣)، وغيرهما.

■ قيمة العمل:

العمل في حياة البشر، ونقصد به الاشتغال بحرفة أو وظيفة أو فن، ليس إذاً أمراً رديئاً، ارتبط بدخول الخطية إلى العالم، ومضاداً للعمل الروحي؛ وإنما هو عطية إلهية وضرورة نفسية ضمن ناموس الطبيعة البشرية التي رسمها الله. فالعمل ليس فقط واجباً، بل هو حقٌّ، وأكثر

---

(١) عندما أنجب لامك (ابن متوشالح - متوشائيل - وحفيد أخنوخ) ابنه نوحاً، قال: **"هذا يُعزِّينا عن عملنا وتعب أيدينا من قِبَل الأرض التي لعنها الرب"** (تك ٥: ٢٩).

من ذلك هو اقتداء بالله الذي يعمل. فنحن، إذاً، نُشاركه في العمل (١كو ٣: ٩)، وبه نُحقِّق ذواتنا ونبني شخصياتنا ونحصل على قُوتنا بشرفٍ وكرامة، وبه نُمجِّد الله خالقنا، ونخدم الآخرين.

ولا ننسى أنَّ كل الحيوانات تسعى لتقتات وتحفظ حياتها وأنواعها: وحوشاً كانت أم بهائم أم طيوراً أم أسماكاً أم حشرات، ولكلٍّ منها نواميسها التي لا تخرج عنها.

وعلى العكس، فإنَّ البطالة محنة تهدم الكرامة الإنسانية، وهي مصدر للانحراف والجريمة، وواحدة من أقسى هموم المجتمعات والدول. والكسل أحد الأمراض الاجتماعية وإهانة للنفس الإنسانية وإنكار لإمكانياتها. والكتاب يدين البطالة والكسل، وفي سِفْر الأمثال الكثير الذي يتصدَّى لهذه الآفة ويُوبِّخ أصحابها:

"العامل بيدٍ رخوة يفتقر. أمَّا يد المجتهدين فتُغْني... الرخاوة لا تَمْسك صيداً، أمَّا ثروة الإنسان الكريمة فهي الاجتهاد" (أم ١٠: ٤؛ ١٢: ٢٧)؛ **"اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمَّل طُرقها... إلى متى تنام أيها الكسلان. متى تنهض مِن نومك"** (أم ٦: ٦،٩)؛ **"مَن يشتغل بحقله، يشبع خبزاً. أمَّا تابع البطَّالين، فهو عديم الفهم"** (أم ١٢: ١١).

والرب في مَثَل الوزنات، دان العبد المتراخي الذي لم يستثمر وزنته الموهوبة له من السيِّد ووصفه بـ **"العبد الشرير والكسلان"** (مت ٢٥: ٢٦)، فقَرَنَ بين الكسل والشر.

والقديس بولس يجعل العمل ضرورة حياتية لا يليق أن يعفي أحدٌ نفسه منها اعتماداً على عمل الآخرين، وأشار إلى ذلك في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي: **"لأننا نسمع أنَّ قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب، لا يشتغلون شيئاً بل هم فُضُوليُّون. فمثل هؤلاء نُوصيهم ونعظهم بربِّنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء، ويأكلوا خُبز أنفسهم"**. وسجَّل بولس الرسول هذا القانون الكتابي: **"إن كان أحدٌ لا يُريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً"** (٢تس ٣: ١١،١٢،١٠).

والقديس بولس، من جانبه، وهو مؤسِّس الكنائس العديدة في قارتَيْن، ورغم وصية السيِّد: **"... أن الفاعل مُستَحِقٌّ طعامه"** (مت ١٠: ١٠؛ لو ١٠: ٧؛ ١تي ٥: ١٨)، ورغم دفاعه هو أيضاً في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس عن حقِّ الخادم أن يتعيَّش من خدمته؛ لكنه ختمه بقوله: **"لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمَّل كل شيء فلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح"** (١كو ٩: ٤-١٠)، وهو أَلزم نفسه بهذا القانون، ورَفَضَ أن يأكل خُبزه مجاناً، فكان يعمل بيديه ليحصل على قُوت يومه، لكيلا يُثقِّل على مَن يخدمهم (١تس ٢: ٩؛ ٢تس ٣: ٨).

ومكتوبٌ في هذا الصدد أنَّ الرسول بولس، عندما دخل كورنثوس، أقام عند أكيلا وبريسكِلاَّ **"لكونه من صناعتهما... لأنهما كانا خيامِيَّيْن"** (أع ١٨: ١-٣).

وهو في اجتماعه بقسوس أفسس، يُذكِّرهم بنهجه، قائلاً: **"فضة أو ذهب أو لباس أحدٍ لم أَشْتَهِ. أنتم تعلمون أنَّ حاجاتي وحاجات الذين**

معي خدمتها هاتان اليدان" (أع ٢٠: ٣٣،٣٤).

العمل، بالفعل، نعمة لا يُدرِك قَدْرها إلاَّ مَن أجبره المرض أو العاهة على البقاء أسير الفراش أو العجز، أو الذين أقعدتهم البطالة عن ممارسة دورهم في الحياة. وعلى كل مَن يختبر تعب العمل أن يشكر الله أنه لا يزال قادراً على تحمُّل أعبائه، وبه ينال بركة خدمة الآخرين أيضاً.

■ العمل كممارسة مسيحية:

رأس الكلام، أنَّ الرب يسوع بتجسُّده، قدَّس الجسد كما قدَّس كل الأعمال الجسدية. وحتى إن كان مصير الجسد أن يعود إلى التراب (تك ٣: ١٩)، وأنَّ السماء والأرض تزولان (مت ٢٤: ٣٥؛ مر١٣: ٣١؛ لو ٢١: ٣٣)؛ فإنَّ هذا يعني فقط نهاية دورهم المرسوم، وسيحلُّ محلهم الجديد الأبدي عند المجيء الثاني للرب: الجسد المُمجَّد بقيامة الجسد القديم، والسماء الجديدة والأرض الجديدة بديلاً عن اللتين ستمضيان (رؤ ٢١: ١).

+ والرب أعاد إلى العمل بركته، وجعله مجالاً لحضور الله، واستثماراً لهباته ووزناته وخدمته. وهو بارك الأعمال اليدوية البسيطة قبل بدء خدمته عندما عمل نجَّاراً مع يوسف: **"أليس هذا هو النجَّار ابن مريم؟"** (مر ٦: ٣).

والرب لم يكن له بيت يستقرُّ فيه حيث يأتيه الناس، وإنما كان هو الذي يذهب إلى الناس. وكان يبدأ خدمته مُبكِّراً، أو بعد أن يقضي الليل في الجبل يُصلِّي. فيطوف المدن والقرى كالعامل المُجدِّ **"يُعلِّم في**

مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كلَّ مرضٍ وكلَّ ضعفٍ في الشعب" (مت ٩: ٣٥). وحتى بعد الغروب (لو٤: ٤٠) أو إلى المساء (مت ١٤: ١٥)، كان يجول **"يصنع خيراً"** (أع ١٠: ٣٨)، أو كان يجلس على شاطئ البحيرة أو في سفينة داخلها، أو على الجبل، فتُقبِل إليه الجموع العَطشَى إلى كلمة الله، فيتحنَّن عليها ويُعلِّمها عن الملكوت.

+ والمسيحي في العالم له وظيفة ورسالة تنتظره ليكرز بها: أن يكون **ملحاً للأرض ونوراً للعالم** (مت ٥: ١٣،١٤). وهذا الكلام لا يُقصَد به فقط المُكرَّسون للخدمة من الإكليروس، وإنما كل مؤمن، باعتباره تلميذاً للرب (مت ٢٨: ١٩؛ أع ١١: ٢٦)، هو خادم للإنجيل من خلال عمله وحياته، سواء كان مُكرَّساً أم علمانياً.

+ المسيحي لا يستأثر بالعمل لنفسه بل يراه عمل الله الذي عيَّنه لهذا العمل، وهو رئيسه الدائم غير المنظور:

"لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها كي نسلك فيها" (أف ٢: ١٠)؛ **"لأن الله هو العامل فيكم: أن تُريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة"** (في ٢: ١٣)؛ **"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو ١٥: ٥)؛ **"وكل ما عملتم بقَوْلٍ أو فعلٍ، فاعملوا الكل باسم الرب يسوع، شاكرين الله والآب به... وكلُّ ما فعلتُم، فاعملوا من القلب، كما للربِّ ليس للناس"** (كو ٣: ١٧،٢٣)؛ **"يا رب تجعل لنا سلاماً، لأنك كلَّ أعمالنا صنعتها لنا"** (إش ٢٦: ١٢).

والله لا يتصرَّف كرئيسٍ مُتسلِّط، وإنما هو يُسانِد ويُبارِك هنا، ويُكافِئ الأُمناء في اليوم الأخير: **"عالين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح"** (كو ٣: ٢٤)، الذي **"سيُجازي كل واحد حسب أعماله (كما يكون عمله)"** (رو ٢: ٦؛ رؤ ٢٢: ١٢).

هكذا يكتسب العمل الجسدي، والأعمال الصغيرة المُرتبطة بالأرض والعالم، بُعْداً روحياً وأُخرويّاً؛ فتدخل أعمالنا اليومية التي كلَّفنا بها الله، ونتمِّمها بروح الطاعة، في نطاق "الأعمال الصالحة"، لأنها قُدِّمَت إلى الله ولحسابه، وهو الذي سبق فأعدَّها لكي نسلك فيها. وهكذا تسقط الحواجز بين الأعمال الجسدية والأعمال الروحية بغير ثنائية مُضلِّلة، وتصير كلها مُقدَّسة ولمجد الله.

وهذا ما علَّم به القديس بولس من جهة الأعمال الجسدية من أَكْل وشُرب، وتحفُّظ البعض على بعض الأطعمة، فكتب إلى تلميذه تيموثاوس: **"لأن كل خليقة الله جيِّدة. ولا يُرفض شيء إذا أُخِذَ مع الشكر، لأنه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة"** (١تي ٤: ٤،٥)، وكتب للكورنثيين: **"فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله"** (١كو ١٠: ٣١).

ولكن نفس الأعمال الجسدية، حتى لو لم تكن شريرة، باستقلالها عن الله لتكون لحساب الذات، تصير "أعمالاً ميتة" تأخذ من الناس أجرها، إنْ كان هناك أجر.

فحضور الله في كل فعل أو عمل، ينقله من مجرَّد نشاط جسدي روتيني عديم القيمة، ليكون لحساب ملكوت الله (مِثْل "الوزنات" التي أعطانا الله أن نستثمرها كأمانة). وفي كِلا الأعمال الجسدية (التي تتقدَّس بحضور الله فيها) والروحية الصريحة (المتَّصلة بأمور العبادة والخدمة)، يُدعَى الشخص **"العبد الصالح والأمين"** (مت ٢٥: ٢١،٢٣).

بل إنه ليس غريباً أنَّ أعمالاً مِمَّا توصَف أنها **"جسدية"**، تُعتَبَر **"أعمالاً روحية"** عندما تقصد مجد الله وتعمل لحسابه، وبعض الأعمال التي يُفتَرَض أنها **"روحية"** كضروب العبادة من صلاة وصوم وصدقة، تصير أعمالاً **"جسدية"** لا طائل من ورائها عندما تخلو من الروح، وتنبع من ذات راضية عن نفسها ومتعالية عن التوبة، مثل الفرِّيسي المتفاخر بأعماله وتقواه، الذي خرج من الهيكل – بعد صلاته – دون أن يتبرَّر (لو ١٨: ١٤)، ومثل الكهنة والفرِّيسيين المُرائين الذين تعلَّقوا بالقشور وتركوا **"أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان"** (مت ٢٣: ٢٣).

+ ولأن المؤمن يُدرك أن العمل وما يُدرُّه عليه من دَخْل هو عطية إلهية، فهو يُقدِّم نذوره (مز ٥٠: ١٤) وباكوراته (أم ٣: ٩) وعشوره أولاً بأول، قبل أي إنفاق مِمَّا يأخذ، لا مِمَّا يتبقَّى بعد سداد احتياجاته الحياتية. والرب يحثُّنا ألاَّ نتوقَّف عند حدِّ العشور التي هي التزام إنسان العهد القديم بحسب أَمْر الله (مز ٤١: ١؛ ملا ٣: ١٠)؛ ولكن في عهد المسيح نبدأ بها، ثم يتَّسع العطاء بنمو الحب للربِّ، استجابةً للدعوة الإلهية: **"مَن سألك فأعْطِه"** (مت ٥: ٤٢؛ لو ٦: ٣٠)، وشعارنا **"لأن منك الجميع، ومِن يدك أعطيناك"** (١أي ٢٩: ١٤).

وفي الحقيقة إنَّ وصية العشور وسد إعواز المحتاجين، تجعل "العمل" مُحتَّماً. فتقديم العشور يقتضي أن يعمل الإنسان وينال ثمار عمله ويُقدِّم منها لله و"إخوته الأصاغر"، فقراء العالم ومساكينه. فمَن وهبه الله نعمة العمل، يصير مديناً لكلِّ المعوزين على قدر ما يستطيع، وكلما تعالت درجة الإيمان والثقة في الله، كلما زاد العطاء بغير تحفُّظ: **"هذا وإنَّ مَن يزرع بالشُّحِّ فبالشُّحِّ أيضاً يحصُد، ومَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصُد. كلٌّ واحدٍ كما ينوي بقلبه، ليس عن حُزنٍ أو اضطرارٍ. لأن المُعطي المسرور يُحِبُّه الله"** (٢كو ٩: ٦،٧).

والقديس بولس أوصى قسوس أفسس أن يعملوا مثله حتى يمكنهم أن يُمارسوا العطاء للمحتاجين: **"في كلِّ شيء أريتُكُم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتَعْضُدُون الضعفاء، مُتذكِّرين كلمات الرب يسوع أنه قال: مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأَخْذ"** (أع ٢٠: ٣٥).

بل إن الرسول بولس في حثِّه اللصوص على الإقلاع عن انحرافهم، وجَّه أنظارهم إلى نعمة العطاء هذه التي ستُتاح لهم عندئذ، فكتب يقول: **"لا يسرق السارق في ما بعدُ، بل بالحريِّ يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يُعطي مَن له احتياجٌ"** (أف ٤: ٢٨). أي يتحوَّل نَهْج حياة هذا الإنسان من الأَخْذ الحرام إلى العطاء المُبارَك، من خلال العمل الشريف.

عن العمل المسيحي

أمام العمل المادي والعمل الروحي، فالمؤمن المسيحي ليس اثنين. فالمبادئ واحدة، والعمل مسيحي في الحالين. وإذا كان المسيحي في العمل الروحي يُسفِر عن سماته المسيحية بصورةٍ صريحة في أمور عبادته وخدمته وسلوكه مع إخوته؛ فهو في معاملاته اليومية في العالم، يُفعِّل نفس المبادئ، ولكن كناموسٍ أخلاقي(٢) يتفرَّد به، دون أن يستخدم فيه مُفردات عقيدته.

فهو يُقدِّم إلهه وإنجيله بسلوكه وقدوته شهادة على كيف يُغيِّر المسيح حياة الناس إلى الأفضل. وفي القديم كان **"دانيال"** يحيا غريباً في أرض السبي ببابل، وكان رجال القصر يسعون للإيقاع به: **"فلم يقدروا أن يجدوا علَّة ولا ذنباً، لأنه كان أميناً ولم يوجد فيه خطأ ولا ذنب"** (دا ٦: ٤).

العمل بالفعل وسيلة مُتاحة للجميع، كلٌّ في اختصاصه وموقعه، كي يُقدِّموا المسيح إلى العالم، لا بالكلام والوعظ، بل بالعمل بكل أنواعه: **"مُقدِّماً نفسك في كلِّ شيء قدوةً للأعمال الحسنة"** (تي ٢: ٧)؛ **"يُظهِر بنا رائحة معرفته في كلِّ مكانٍ. لأننا رائحة المسيح الذكية لله"** (٢كو ٢: ١٤،١٥)، وليس فقط رائحة المسيح بل نورُه المنعكس علينا أيضاً:

---

(٢) راجع"الأخلاق المسيحية" في هذا الكتاب (ص ١٣ وما بعدها).

"فلْيُضئ نورُكم هكذا قدَّام الناس، لكي يَرَوْا أعمالكم الحسنة، ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات" (مت ٥: ١٦).

ونحن بالعمل نُمجِّد الله: **"نسعى كسفراءَ عن المسيح كأنَّ الله يعظُ بنا"** (٢كو ٥: ٢٠). فمِن خلال سيرتنا الأمينة المستقيمة نجتذب أهل العالم كي يُمجِّدوا الله: **"وأن تكون سيرتكم بين الأُمم حسنة، لكي يكونوا، في ما يفترون عليكم كفاعلي شرٍّ** (كذباً وتعصُّباً)، **يُمجِّدون الله في يوم الافتقاد** (عندما ينكشف الحق ويُضيء نوركم)، **من أجل أعمالكم الحسنة التي يُلاحظونها"** (١بط ٢: ١٢).

والعمل – من ناحيةٍ أخرى – هو مجال لاختبار طاعة الوصية: **"هكذا تمِّموا ناموس المسيح"** (غل ٦: ٢)، وفي المقدِّمة تطبيق وصية المحبة العملية **"بالعمل والحق"** (١يو ٣: ١٨)، واستثمار مواهبنا ووزناتنا في خدمة الجميع، وتحقيق إمكانية الحياة المسيحية في العالم، وأنها ليست ناموساً خيالياً يجتذب فقط الإعجاب النظري دون أن يتحقَّق على أرض الواقع.

وكما أنَّ عملنا يمكن أن يُمجِّد الله، كذلك فإنَّ أخطاءنا في العمل وانحرافنا عن جادة الحق سيطعن في استقامة حياتنا الروحية، فيُقال عنَّا، كما قال الرب على الكَتَبَة والفرِّيسيين: **"إنهم يقولون ولا يعملون"** (مت ٢٣: ٣)، كما يُلقي بالظلال على خدمتنا، فيُشوِّهها ويُعطِّلها ويُعثِر الناس فينا.

■ التزامات عامة:

مهما تعدَّدت الوظائف والمهام وتنوَّعت، فهناك التزامات أساسية يتطلَّبها العمل المسيحي:

(١) أول الالتزامات **الأمانة الشاملة**، على مثال الله الذي وُصِفَ بـ **"الأمين الصادق"** (رؤ ٣: ١٤؛ ١٩: ١١). وهناك أكثر من أَمْر كتابي بالتزام الأمانة: **"كُن أميناً إلى الموت، فسأُعطيك إكليل الحياة"** (رؤ ٢: ١٠). وإذا كان المعنى المباشر هنا يتَّجه إلى الجانب الروحي، ولكن الوصية بالطبع لا تقتصر على هذا الجانب وحده، وإنما تمتدُّ إلى كلِّ نشاطات الحياة، فلا يستقيم أن يجتمع النور مع الظلمة، كما أنَّ الأمانة لا تتجزَّأ، والذي يبدأ أميناً مُدقِّقاً في القليل يظلُّ أميناً مُدقِّقاً في الكثير (لو ١٦: ١٠).

+ والأمانة تحتوي أيضاً **الاستقامة وعدم الالتواء والصدق وعدم الكذب** أو الحنث بالوعود (١تي ١: ١١)، والكلام دون حاجة إلى أقسام:

"اطرحوا عنكم الكَذِب، وتكلَّموا بالصِّدق كلُّ واحدٍ مع قريبه" (أف ٤: ٢٥)؛

"كلُّ كذب ليس من الحقِّ" (١يو ٢: ١)؛

"كراهةُ الرب شفتا كذب" (أم ١٥: ٢٢)؛

"لا تحلفوا البتَّة... ليكُن كلامُكم نعم نعم لا لا" (مت ٥: ٣٤،٣٧).

ومكتوبٌ عن الله: **"ليكُن الله صادقاً"** (رو ٣: ٤)، أمَّا عن إبليس فهو: **"كذَّاب وأبو الكذَّاب"** (يو ٨: ٤٤).

+ ويتَّصل بالأمانة **الالتزام بالعدل والحقّ** تمثُّلاً بالمسيح الذي جاء **"ليشهد للحقّ"** (يو ١٨: ٣٧)، المتمثِّل في كلمة الله (والمتمثِّل في **القانون** بالنسبة للدولة). والمؤمن يُلزِم نفسه أولاً بالحق قبل أن يطلبه في الآخرين: **"ليمتحن كلُّ واحدٍ عَمَلَه، وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط، لا من جهة غيره. لأنَّ كلَّ واحدٍ سيحمل حِمْل نفسه"** (غل ٦: ٤،٥). فلا تحايُل على القانون، وإنما خضوع إرادي له، ولا تهرُّب من الضرائب، ولا تجاوُز ولا طمع أو استخدام وسائل غير مشروعة لأَخْذ ما لا يُستَحَقُّ، ولا تمييز أو انحياز في المعاملات، ولا سَلْب لحقوق البسطاء واستغلالهم.

ولا شكَّ أنَّ السلوك بالأمانة والحق، يَهَب صاحبهما القوَّة والشجاعة، ويُجرِّده من الخوف أو التستُّر بالظلام كما يفعل المنحرفون: **"لأن كلَّ مَن يعمل السيئات يُبغِض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا تُوَبَّخ أعماله. وأمَّا مَن يفعل الحق فيُقبِل إلى النور، لكي تَظْهَر أعمالُه أنها بالله معمولة"** (يو ٣: ٢٠،٢١).

+ وتتضمن الأمانة أيضاً **السلوك بالجديَّة والاجتهاد**. فالعمل هو الوزنة التي وهبها الله لكلِّ واحدٍ، ليس فقط كمجال لحضور الله وتمجيد اسمه، وللحصول على طعام الجسد؛ لكن أيضاً لتكامُل بنائنا النفسي وحمايتنا من الاكتئاب والانطواء الذي يُصيب العاطلين. فالعمل نعمة قد لا يتمتَّع بها البعض لظروفهم الخاصة، وينبغي أن نحتفي بهذه الوزنة ونتاجر بها ونربح. ولا يليق أن نتعامل معها بخِفَّة واستهتار ونتظاهر كأننا نعمل طالما كان الأجر مضموناً، وإنما أن نُمارِس العمل بروح الجندي (٢تي ٢: ٣). فالجديَّة

تقتضي افتداء الوقت، لا إهداره كيفما اتفق، إرضاءً للرب الذي جنَّدنا ويُشرف علينا، مع التدقيق في كلِّ تصرُّف بكلِّ حكمة، فلا نُغالي في الاهتمام بتوافه الأمور مع التساهُل في عظائمها. كما أنَّ وصية إنكار الذات تتضمن قبول الأتعاب برضا، وعدم التذمُّر إذا ساء الحال.

والجديَّة تستثير فضائل عديدة في النفس، وتعكس أيضاً الجديَّة في الحياة الروحية: **"وفي كل تعب منفعة... وكلام الشفتين** (بغير عمل) **إنما هو إلى الفقر... المتراخي في عمله هو أخو المُسرف"** (أم ١٤: ٣؛ ١٨: ٩).

(٢) **والمحبة للجميع** هي قرين الأمانة في العمل. فالمؤمن العامل يرى نفسه خادماً متَّضعاً للكلِّ، خاصةً الطبقات الضعيفة، ويُضفي على العمل في كلِّ المجالات مبادئَه المسيحية من الهدوء والاستقامة ومساعدة الفقير والمُعاق والمُسن، ومعاملة الكل باللُّطف والمودَّة وطول الأناة بغير تعالٍ أو صَلَف، فلا انفعالَ صاخباً غير منضبط تتناثر فيه الكلمات الرديئة، وهكذا يربح النفوس ويُمجِّد اسم إلهنا: **"ليُرفَع من بينكم كلُّ مرارة وسَخَط وغضب وصياح وتجديف مع كلِّ خُبث. وكونوا لُطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين مُتسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح"** (أف ٤: ٣١،٣٢).

والمؤمن بمحبته هذه متصالِحٌ مع الكون كله، ويحب العالم الذي خلقه الله، ويُمجِّد الله شاكراً له نعمة الحياة في المسيح. وهو يرى في كلِّ الناس إخوته وأخواته، آباءه وأُمهاته، أبناءه وبناته، دون نظر إلى الجنس أو اللون أو العقيدة أو الطبقة الاجتماعية.

وهو قد يواجه التعصُّب والتمييز الديني أو العِرْقي أو الطبقي، وقد

يفتقد بعضاً من حقوق المواطنة، ولكنه حريصٌ ألاَّ يترلق إلى الانطواء والعُزلة أو التعصُّب المقابل. وبمعونة النعمة يغلب الكراهية بالحب من القلب لا من الظاهر، فالكراهية ضعفٌ وشرٌّ وخوفٌ، والمحبة قوَّة إيجابية، ومكتوبٌ أنَّ **"المحبة قويَّة كالموت"** (نش ٨: ٦).

■ محاذير:

رغم أهمية العمل في حياة المسيحي، فعليه أن ينتبه لئلا يسرق العمل حياته، خاصةً إذا كان عملاً مؤثِّراً ناجحاً مُربحاً، فيصير موضع فخره واهتمامه ويُنافس به غيره. وحرصه على استمرار نموِّه يجعله يطمع في أكثر، فيَهَب عمرَه لعمله ولا يجد وقتاً لروحياته أو حتى لعائلته، هذا نوعٌ من الإدمان(٣).

ولابد من وقفة مع النفس لإنقاذها من الضياع. ونذكُر هنا القصة التي أوردها الرب، لضبط هذا الانسياق وراء تراكُم الأموال ومُضاعفة حجم العمل، عن الغَني الذي أَخصَبت كورتُه وتضاعف محصول الثمار، ففكَّر في هدم مخازنه ليبني أعظم منها حتى تسع غلاَّته وخيراته للسنين القادمة، مُمنِّياً نفسه بحياةٍ طويلة مُمتلئة بالراحة والفرح والأَكل والشُّرب. والرب أَخَذَ عليه أنه كان يكتز لنفسه بغير أن يفطن أنَّ العمل والمال هما لله، وحَثٌّ على التحفُّظ من الطمع أو الاستغراق في العمل وجمع المال (مهما كان العمل شريفاً)، بحيث ينسى الإنسان أبديته، فحياته هنا مؤقَّتة: **"فإنه متى كان لأحدٍ كثيرٌ فليست حياته من أمواله"** (لو ١٢: ١٥).

---

(٣) ويسمُّون صاحبه: "مُدمن العمل" workaholic، مثل: "مُدمن الخمر" alcoholic، وغيره.

فالحصول على المال ليس هدفاً في حدِّ ذاته، فلا يوافق أن ننالـه بـأيِّ طريق؛ بل لابد أن تكون الوسائل شريفة لا تُجافي إنجيل المسيح. ونفس الإنسان، الذي بَذَلَ الرب حياته من أجل خلاصها، هي لؤلؤة ثمينة تستحقُّ أن نحفظها مصونة نقيَّة لا أن نُلقيها في الوحل. ولنذكر دائماً قول الرب: **"ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلَّه وخَسِرَ نفسه؟ أو ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسه؟"** (مت ١٦: ٢٦؛ مر ٨: ٣٦؛ لو ٩: ٢٥).

والقصد أن تظلَّ حياة الإنسان الروحية وعبادته ومصيره الأبدي هو الغاية التي يحيا لأجلها ويطلبها أولاً (مت ٦: ٣٣)، وتصُبَّ فيها كل نشاطات الإنسان وعمله، ويصير من الغباء وسوء التصرُّف أن يَضيعَ هنا هذا الهدف لأيِّ أَمْرٍ مهما كان مستقيماً.

فلْنعملْ ونتعب لحساب الله بغير أن نخسر أنفسنا، وغير ذلك يكون تعباً باطلاً. فإنْ كُنَّا نعمل تحت قيادة الله وإرشاده، فلننصت إلى الوصية: **"ليس أحدٌ وهو يتجنَّد يرتبك بأعمال الحياة لكي يُرضي مَن جَنَّدَه"** (٢تي ٢: ٤).

فالتحرُّر من سلطان المال مهما تضاعَفَ، والتعامُل معه على أنه عطية الله يستثمرها المؤمن لحساب الله، يحفظ له إنسانيته، ويُتيح له ممارسة العطاء السخي واختبار غبطته، كما يتمتَّع ببركة الرب التي **"هي تُغْني ولا يَزيدُ** (الربُّ) **معها تعباً"** (أم ١٠: ٢٢). وللقديس غريغوريوس الكبير في هذا الصدد قوله الشهير: "وقفتُ على قمة العالم

عندما أحسستُ في ذاتي أني لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً".

وإذا كان نجاح العمل ووفرة الأرباح يمكن أن يسحب المؤمن من علاقته الروحية ويُلقي به في أتون العالم، فإنه يمكن أيضاً أن يُصيب صاحبه بالهَمِّ خوفاً على أمواله وحرصاً عليها. وهذا هو حال كل مَن **"ليس هو غنيّاً لله"** (لو ١٢: ٢١). فليس شرطاً أنَّ الغِنَى والمال يُعاديان الله، وإنما محبة المال واقتناؤه هي التي تقود إلى الشرور والضلال عن الإيمان (١تي ٦: ١٠).

وعلى الجانب المضاد، فإنَّ مصاعب العمل وقلة الدخل هي أيضاً يمكن أن تُورِّث صاحبها الهَمَّ وتُهدِّد إيمانه وثقته في الله، ومِن هنا حدَّثنا الرب عن أننا دوماً موضع رعايته، وهو يَعْلَم احتياجاتنا الجسدية ويكفلها لنا. فهو الذي وهبنا الحياة التي نحياها، وأعطانا القدرات لاستثمار وزناته بغير قلق وانشغال بالغد.

والربُّ لكي يستثير ثقتنا فيه والتيقُّن من عنايته بنا، وجَّه أنظارنا إلى الكائنات الضعيفة من حولنا، كطيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن والله يَقُوتها؛ وزنابق الحقل التي لا تتعب ولا تغزل والله يُلبسها بما لم يكن سليمان في كلِّ مجده يلبس كواحدة منها (مت ٦: ٢٥-٣٤).

فعلينا أن نبذل جهدنا، كلٌّ في مجال عمله، وننتظر الثمار مِن يد الله الأمين على خليقته كلها. ولنتعلَّم أن نشكُر الله على القليل والكثير. فلا القليل يُورِّثنا الهَمَّ، ولا الكثير يقودنا إلى الغرور.

■ التزامات خاصة:

ونقصد بها الالتزامات المرتبطة بكلِّ مجال بعينه من مجالات العمل المختلفة، إضافةً إلى ما سبق ذِكْره من التزامات عامة.

وسنتناول في المقام الأول الأعمال الأكثر تأثيراً في المجتمع مثل: المعلِّم والطبيب ورجال القانون والأَمن والجيش. ولا ننسى أنَّ الرب يسوع، خلال خدمته، كان **مُعلِّماً** يقود الجموع إلى الحياة الأفضل، كما كان **طبيباً** يتحنَّن على المرضى والمُعاقين، شافياً النفس مثل الجسد. وهو لنا أيضاً **المحامي** والشفيع Advocate أمام الآب بدمه كفَّارة لخطايانا، بل أيضاً لخطايا كل العالم (١يو ٢: ١،٢)، كما أنه سيكون **قاضينا (الديان العادل** – ٢تي ٤: ٨؛ عب ١٢: ٢٣) الذي سيقف أمامه الكل في اليوم الأخير ليُجازي كل واحد حسب أعماله (رو ٢: ٦؛ رؤ ٢٢: ١٢). فهذه الأعمال بالذات تبرز بين غيرها كمجال مناسب لتقديم المسيح للعالم.

(١) المعلِّم:

تأثير **المعلِّم** (أو المعلِّمة) على حياة الناس لا يُبارَى. فهو الذي ينقل من ظلام الأُميَّة والجهل إلى نور المعرفة والعلم. كما أنه يتعامل مع التلاميذ من الطفولة إلى الشباب، ويغرس فيهم مبادئ التربية مُهذِّباً سلوكهم مُستكمِلاً دور الوالدين.

ولأن المعلِّم يُدرك أهمية رسالته، مِن هنا فهو يُلزِم نفسه بالتدريب والتأهيل المستمر والسلوك المنضبط، باعتباره القدوة التي يتطلَّع إليها آلاف التلاميذ، صغاراً وكباراً؛ وعلى نهج السيِّد الذي بقدوته وتعليمه وبَذْله

نفسه، نَقَلَ البشر من الظلمة إلى النور. وهو منتظم في عمله، وحريصٌ ألاَّ تخرج منه كلمة رديَّة أو أن يتَّخذ سلوكاً لا يليق. كما أنه يتعامل مع الكل بذات الاهتمام، مُوجِّهاً عناية أكثر للضعاف وأصحاب الحالات الخاصة، ولا يستغل مواهبه وعلمه من أجل المال كما يفعل الذين يُشوِّهون قَدْر هذه الوظيفة العظيمة. وفي الامتحانات لا يُجامل أحداً، فكل تلميذ ينال ما يستحقُّه بجهده.

والرب امتدح المؤمنين الذين يعملون بالوصايا ثم يُعلِّمون الآخرين بقوله: **"مَن عَمِلَ وعلَّم فهذا يُدعَى عظيماً في ملكوت السموات"** (مت ٥: ١٩). وبنفس القياس، فإنَّ مَن يقومون بالتعليم ويُخرجون الناس إلى ضياء المعرفة، فلهم أجرهم أيضاً.

+ وكما عرضنا للمُعلِّم، فلنذكُر **التلميذ** باعتباره نقطة البدء في الإعداد لممارسة العمل بكل أنواعه. فإن كان ينشد النجاح، فتُلزمه الأمانة أن يكون مواظباً، منتبهاً لمُعلِّمه، جادّاً في أداء واجباته، مُطيعاً لوالديه ومُعلِّميه، مُصادِقاً لزملائه، موازِناً بين العبادة والدراسة واللهو والرياضة، يأبَى الغش في الامتحان باعتباره كسراً لوصيتَي عدم السرقة وعدم الشهادة بالزور (خر ٢٠: ١٥،١٦)، فلا يغتال جهد الآخرين ويأخذ ما لا يستحق، فضلاً عن أنَّ الغش إهانةٌ للكرامة الإنسانية وعارٌ يبقى مُلتصقاً بالشخصية مهما طال الزمن، ولا يغسله إلاَّ توبة حقيقية وتعهُّد أمام الله بالحصول على الثمر الكريم بالتعب والجهد والعمل الشريف الذي يستثير المواهب فتتوهج، بينما يُطفئها الغش السهل.

+ وعلى ذِكْـــر المعلِّم والتلميذ، فـــلا ننسى دور **المشرف الاجتماعي** الذي يوازي دور المرشد الروحي في الكنيسة. فهو يُوجِّـــه إلى الســـلوك الصواب، ويقوم بحلِّ مشاكل الطُّلاَّب الاجتماعية والنفسية. وهو لو آمـــن بأهمية دوره، وكان أميناً مُخْلِصاً له، لجنَّب أولاده في المدرسة الانحـــراف وقادهم إلى النجاح في الحياة.

+ ونُضيف أنَّ **الأستاذ الجامعي** هو أيضاً مُعلِّم، والالتزام العلمي والدِّقة والأمانة هي أولى سماته. وهو يصل إلى مرتبته هـــذه بعد ســـنين طويلـــة مـــن الدراسة الدءوبـــة والبحث لإماطة اللثام عـــن المجهول في مجالـــه. وفي تدريســـه يجتهد في شرحه، وبابه دوماً مفتوح لطُلاَّبه. وفي امتحاناته لا يعمد إلى الغموض والخداع، ويُعطي الدرجة بالعدل، ولا يعرف المجاملة أو التمييز.

وهـــو يُتلمِذ غيره ويُشـــرف على بحـــوثهم، ويقودهم في الطريـــق الذي سار فيه مـــن قبل، ليصيروا مثله. وهو يُعطي لهم خبرته بكلِّ رضـــا وكَرَم. وكما التزم بالأمانة في إجراء بحوثه، مُدقِّقاً في كـــلِّ معلومـــة، مُشيراً إلى مصادره، مُعترفاً بفضل مَن سبقوه؛ فهو أيضاً يُلـــزِم تلاميـــذه بالأمانة والدِّقة، فهما حجر الزاوية في البحث العلمي، فلا يقبلوا بالسرقة أو التزييف أو تلفيق النتائج، فهذه خيانة للأمانة، وإهانة للضمير، وتلويث لهذه المهمة الجليلة، وكَسْر للوصية كما أسلفنا.

(٢) الطبيب:

عمل **الطبيب** من أكثر الأعمال تأثيراً في حياة الناس، فـــأمامه ينكشف المرضى جسداً ونفساً، ولابد أن يكون الطبيب بالتالي عند حُسْـــن الظـــنِّ

علماً وخُلُقاً. والجرَّاح – حتى ولو لم يُدرك – هو يد الله التي تستأصل سبب المرض. وكل مَن أسهم في دراسة الجسد ووظائفه، واكتشاف أسباب المرض وعلاجه، وابتكار الأجهزة التشخيصية وآلات الجراحة؛ هؤلاء جميعاً هم خُدَّام للبشر، يقفون إلى جوار خُدَّام الله.

وأمانة الطبيب أمرٌ حيوي. فهو يسمع الأسرار، ويكتشف نِقاط الضعف، ولكنها في قرارٍ مَكين. وهو يجتهد دوماً لمعرفة الجديد في مجال تخصُّصه. ولا يليق أن يُشوِّه سموَّ عمله باستغلاله في جمع المال، مُترفِّعاً عن إغرائه، فلا يُغالي في تقدير أتعابه، وللفقراء في خدمته نصيب. وفي أغواره أنَّ علمه هِبة إلهية، وأنه مُرسلٌ من قِبَل الله لتخفيف آلام الناس، وقدوته السيِّد المُتحنِّن الذي كان «**يطوف المدن كلها والقُرَى... ويَشفي كلَّ مرضٍ وكلَّ ضعفٍ في الشعب**» (مت ٩: ٣٥). وكثيرون من الأطباء اعتبروا أنفسهم مُرسَلين لخدمة البشر بغير مُقابل، سوى إحساسهم بالسعادة أنهم خفَّفوا آلام الناس، ووجدوا علاجاً لأمراضهم(٤).

+ **وللطبيب النفسي** دوره في تحرير مرضاه من همومهم النفسية، وميولهم الخاطئة، وسقوط بعضهم في محنة الإدمان. وكثيراً ما يُحيل

---

(٤) فهناك منظمة **"أطباء بلا حدود"**، وهم الذين يجوبون بقاع الأرض لعلاج المرضى الفقراء. وفي القرن الماضي عرفنا عن **دكتور ألبرت شفايتزر** (١٨٧٥-١٩٦٥م) الطبيب الألماني الفرنسي، واللاهوتي والفيلسوف والموسيقي، الذي قضى سنواتٍ طوال (١٩١٣-١٩٥٢) في أفريقيا الاستوائية (الجابون الحالية)، حيث أقام مستشفى لخدمة الأفارقة الذين كانت تُلاحقهم الأمراض المُستعصية كالجذام، وحصل على جائزة نوبل.

وفي بلادنا أوقف **دكتور مجدي يعقوب**، جرَّاح القلب الشهير، حياته، بعد أن تخفَّف من أعبائه في إنجلترا، على خدمة مرضى القلب عندنا بالمجان، وأسَّس مركزه البحثي في أسوان، كما امتدَّت خدمته إلى إثيوبيا وبلادٍ أخرى.

أب الاعتراف إلى الطبيب النفسي مَن في حاجة إلى استكمال علاجهم. مِن هنا كان مُحتَّماً أن يحمل الطبيب النفسي قلباً مُحِبّاً لمرضاه، باذِلاً كل جهد لإخراجهم من سجنهم، وأن يكون أميناً، فلا يُضاعف الجلسات بغير مقتضٍ أو يخدع مرضاه بعلاجٍ غير مُجْدٍ، وعينُه فقط على ما يأتيه من مال، بما يُخرجه من هذا الفصيل النبيل الذي يخدم الحياة.

+ **والممرضة الأمينة**(٥) هي ذراع الطبيب اليُمنى التي لا يستغني عنها، فهي التي تُهيِّئ المريض للقائه، وتُتابع رعايته نهاراً وليلاً، وإذا تَوفَّر فيها الحب والعطف يكون وجودها إلى جوار المريض تخفيفاً لآلامه وتعجيلاً بالشفاء. والممرضة التي تتنكَّر لدورها وتُهمل مرضاها، تهين هذه الخدمة العظيمة، كما تهين سيِّدها الطبيب الأعظم؛ بينما تُمجِّده الراهبات اللاتي يُمارِسنَ الخدمة المسيحية كممرضات في المستشفيات، كأنهُنَّ ملائكة تتحرَّك بين الأَسِرَّة، وخدمتهُنَّ لا تُنسَى، وبها يُقدِّمن المسيح لَمن لا يعرفه.

+ ولا ننسى، في المنظومة الطبية، **رجال الإسعاف** الذين هم

---

(٥) نذكر هنا **القديسة فيرينا** المصرية (من قرية جراجوس - قوص - محافظة قنا) التي رافقت الكتيبة الطيبية إلى سويسرا أواخر القرن الثالث (انظر الحاشية التالية) كمُمرضة مع عددٍ من رفيقاتها لمعالجة الجنود. وبعد استشهاد أفراد الكتيبة، عاشت ناسكة في كهف (قُرْب زيورخ الحالية) تخدم الفقراء وتعتني بالمرضى، وعلَّمت الناس قواعد النظافة، وبشَّرت السويسريين بالمسيح، والرب صنع على يديها معجزات شفاء. وبعد نياحتها (٣٤٤) وُضِعَ جسدها في كاتدرائية باسمها في زيورخ، ويُعيِّدون لها في أول سبتمبر (ونُعيِّد لها في الرابع من توت). وعلى ضفاف نهر الراين، ينتصب تمثال كبير **للقديسة فيرينا**، وهي تحمل إبريقاً بيد، وتمسك بيدها الأخرى مِشْطاً من النوع القديم. وصارت رمزاً للمسيحية الخادمة في كلِّ أوروبا. ويوجد على اسمها ٧٠ كنيسة في سويسرا، و٣٠ كنيسة في ألمانيا. وإضافة إلى كنيستها بمسقط رأسها، فلنا كنائس باسمها في كاليفورنيا وأستراليا، وأخيراً في زيورخ نفسها، وتحوي كلها أجزاء من رفاتها.

أول مَن يتعامل مع مُصابي الحوادث قبل وصولهم إلى المستشفى. ويتوقَّف على سرعة استجابتهم وأمانتهم إنقاذ حياة الكثيرين.

(٣) الصيدلي:

الصيدلي هو قرين الطبيب الذي يصف الدواء، وهو يصنعه ويُوفِّره للمرضى. وهو في معمله يُحلِّل ويبتكر الدواء. وملايين البشر مدينون لصُنَّاع الدواء، لعلاج الأمراض ومُقاومة الميكروبات والطفيليات. وكل العلماء الذين يسهمون في صُنع الدواء أو الجهاز الذي يستخدم في كشف المرض أو علاجه، هم أدوات في يد الله الطبيب الشافي، يواصلون خدمته التي بدأها على الأرض.

(٤) رجُل القانون:

هدف القانون هو تحقيق العدالة بين الناس، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه. وصار رمز العدالة امرأة معصوبة العينين ترفع بيدها سيفاً، بمعنى أنَّ الحُكْم العادل لا يعرف التمييز أو المُحاباة، وكالسيف يفصل بين الحق والباطل. وفي الكتاب: **"فِعْل العدل والحق أفضل عند الرب من الذبيحة... مُحاباة الوجوه في الحُكْم ليست صالحة"** (أم ٢١: ٣؛ ٢٤: ٢٣).

والقاضي ملتزمٌ بالقانون، لا يَحِيد عنه ولا يتحايل عليه لحساب أحد أو ينتقم من أحد. وشعاره قول الرب الذي واجه به الذين اتهموه زوراً: **"لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حُكْماً عادلاً"** (يو ٧: ٢٤).

والمحامي يُدافع عن حقِّ موكِّله، ويكشف الجوانب التي تُبرِّئه من أجل عدالة الحُكْم، ولا يستخدم مهارته في أن يجعل الحق باطلاً والباطل حقّاً.

والدفاع مع **النيابة**، التي تُفصِّل الاتهام وتكشف عمّن الحق في جانبه؛ هما جناحا العدالة أمام القاضي، ومهمتهما إجلاء الحقيقة للقاضي لكي يحكم حُكْماً عادلاً.

(٥) الشرطي:

مهمة **الشرطة** هي حِفظ الأَمن والنظام، وحماية المواطنين وإنقاذهم، والقبض على الخارجين على القانون. فالشرطي صانع سلام للصغير والكبير، ومُقاوِم للشرِّ؛ بل قد يفقد حياته وهو يؤدِّي واجبه. وفي هذا كله فهو يتشبَّه بالسيِّد الذي بَذَلَ نفسه لأجل من أحبهم، وعليه مِن ثمَّ الالتزام بالقانون، وعلى **المُحقِّقين** بالمثل التزام الأمانة، وأمامهم قول الكتاب: **"مُبرِّئ المذنب ومُدنِّب البريء كلاهما مَكرهة الرب"** (أم ١٧: ١٥).

(٦) الجندي:

رجال **الجيش** هم نماذج في التضحية بالحياة دفاعاً عن الأرض والوطن. سماتهم الشجاعة والانضباط وعدم الخوف من الموت، حتى أنَّ القديس بولس شبَّه الكارز بالجندي المُحارِب، فكتب لتلميذه تيموثاوس: **"اشترك أنت في احتمال المشقَّات كجندي صالح ليسوع المسيح"** (٢تي ٢: ٣). وهو قابَل بين أسلحة الجندي وأسلحة أولاد الله في حروبهم ضد مكايد إبليس، فكتب في رسالته إلى أهل أفسس: "احملوا **سلاح الله** الكامل... اثبتوا مُمَنطقين أحْقَاءكم **بالحقِّ**، ولابسين **دِرْع البرِّ**... حاملين فوق الكل **تُرْس الإيمان**، الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع **سهام الشرير** المُلتهبة. وخُذُوا **خوذة الخلاص**، **وسيف الروح** الذي هو **كلمة الله**" (أف ٦: ١٣-١٧).

والجندي يطيع أوامر قادته دفاعاً عن الوطن، ولكنه لا يتحمَّل جريرة العدوان على البلاد الأخرى، وإنما يتحمَّلها الرؤساء والقادة الذين سعوا إلى الحرب.

وكثيرٌ من شهداء الكنيسة كانوا جنوداً وضُبَّاطاً مثل القدِّيسين: جرجس، ومينا، وفيلوباتير مرقوريوس، وموريس وكتيبته(٦).

فحياة الضابط والجندي، التي لا تعرف التسيُّب أو التراخي، تُهيِّئ لصاحبها أن يكون مؤمناً جادّاً مُلتزماً ساهراً على حياته، رافضاً الركوع والهزيمة أو إنكار الإيمان مهما كان التعذيب وحتى الموت.

(٧) المهندس:

ومعه المقاولون والحِرَفيون وغيرهم، وعملهم يتطلَّب التصميم المُتقَن والتنفيذ الدقيق والأمانة في كلِّ خطوة، والتحفُّظ من الإهمال والتسيُّب، لأن أعمالهم تتعلَّق بسلامة الناس. وكما سيُكافئ الله الملتزمين في عملهم، سيدين الذين خانوا الأمانة ولم يؤدُّوا واجبهم.

---

(٦) **القديس موريس** المصري (٢٥٠-٢٨٧)، كان على رأس كتيبة من ٦٦٠٠ جندي من أبناء طيبة (الأقصر) ضمن جيش متعدِّد الجنسيات، أرسله الإمبراطور الروماني مكسيميان (٢٨٦) للقضاء على الثورة في بلاد الغال (فرنسا). وبعد انتهاء مهمتهم، جاءوا إلى سويسرا وأقاموا في مدينة Agaunum الصغيرة المجاورة لزيورخ. وإذ رفضوا الأوامر بتقديم الذبائح للأوثان، حُكِمَ عليهم جميعاً بقطع رؤوسهم. وكان استشهادهم (٢٨٧) سبباً في دخول الإيمان إلى سويسرا. وتغيَّر اسم البلدة فيما بعد إلى سان موريتز St. Mauritz (Maurice)-en-Valais، وأُقيمت على اسم **القديس موريس** كاتدرائية كُبرى في زيورخ، ويُعيِّدون له في ١١ سبتمبر. ويوجد اليوم في أنحاء أوروبا ما يقرب من ٦٥٠ كنيسة تحمل اسم **القديس موريس** (إضافة إلى عددٍ من الكنائس في مصر)، كما تحمل اسمه أكثر من ٧٠ مدينة في الغرب، والتي احتفلت في ١٩٩١ بمرور ١٧ قرناً على استشهاده هو وكتيبته.

والمقاول مُطالَب بأن يُعطي كل عامل عنده أَجره العادل، فلا يسلبه حقَّه مُستغِلاً بساطة حاله.

والعامل المسيحي تُلزِمه الأمانة أن يُتقِن عمله وألاَّ يُغالي في أجره، وأن يكون مستقيماً في معاملاته بغير مُراوغة أو خُبث، ولا يُخادِع كغيره مِمَّن يستحلُّون أجرهم بغير أن يُصلِحوا العَطَب. وهو يرى عمله عطية إلهية، فلا يتكاسل ويركن إلى الراحة ويفقد بركة التعب. وهو مُتحفِّظٌ مِمَّا يسود بعض الأوساط العُمَّالية من سوقية الكلام والانحلال والإدمان، طائعاً لقول الكتاب: إنَّ **"المعاشرات الرديَّة تُفسِد الأخلاق الجيِّدة"** (١كو ١٥: ٣٣). وهو يستند إلى نعمة الله، كي يشهد باستقامته وسط ما يُحيطه من فساد. ولا ننسى في هذا المجال **سائق التاكسي** الذي يعمل في وسط يسوده السعي للربح الحرام والتحايل، والتزامه بالأمانة والقناعة بأجرته التي يحددها العداد، دون أن يعزيه الفساد المستشري بأن يخضع له بأي مبرر مكتفياً ببركة الرب التي تغني.

(٨) المهندس الزراعي:

وهو يستخدم علمه ومهارته في العمل على زيادة إنتاجية الأرض واستصلاح التُّربة، وإرشاد الفلاَّحين إلى أحدث الوسائل في الزراعة وحماية الثمار من التلف وإقلال الهالك عند الحصاد. وسيتوقَّف على سهره وأمانته زيادة الخير للإنسان والحيوان، ولن تُنسَى خدمته وتعبه أمام الله.

والعامل الزراعي (الفلاَّح) له مكانته في تاريخ الإنسان، فهو أول مَن عمل في الأرض. والرب استخدم الزارع والحقل والبذار كثيراً في أمثاله (مت ١٣؛ مر ٤؛ لو ٨). والفلاَّح يختبر نعمة الله بصورة ساطعة. فهو فقط

يضع في الأرض البذار ويسقيها وينتظر عطايا الله، وهو مُوقِن أنه في الوقت المُعيَّن سيجمع المحصول. ومنذ القديم تعلَّم أن يُقدِّم لله باكورة حصاده، بل صار للحصاد عيده المُفْرِح، وهكذا اقترن العمل بالعبادة. والفلاَّح خادم المسكونة، فهو الذي يُوفِّر طعامها. وربما كان في قاع طبقات المجتمع؛ ولكن الأُمناء من الفلاحين البسطاء الذين يعيشون بالإيمان ويرضون بالقليل، لهم نصيبهم الوافر في اليوم الأخير.

(٩) صاحب العمل أو الرئيس أو المُدبِّر:

وفي المؤسَّسات الصناعية والشركات وغيرها، فعلى **صاحب العمل أو الرئيس أو المُدبِّر** أن يلتزم بالعدل والحزم والعفة (خاصةً مع النساء من مرؤوسيه والعاملات)، والحشمة في التصرُّف والكلام، واحترام وتقدير المُساعدين والعاملين والعملاء، وتقديم القدوة في الانتظام وبَذْل الجهد، وعدم الاستغلال أو الانحياز، وحُسْن تقدير الجزاء والأَجر، والمعاملة الإنسانية لأصحاب الظروف الخاصة، وألاَّ يضِنَّ على الله بالكثير مِمَّا أفاضه عليه، وأن يُسدِّد ضرائبه بالأمانة، وأن يُخصِّص جانباً من الأرباح لخدمة المجتمع خاصة الفقراء والمرضى والأيتام والأُمِّيين.

+ ومن ناحية **العاملين**، فعليهم احترام رؤسائهم وطاعتهم، والالتزام بمواعيد العمل، والدِّقة والجدِّية كل الوقت بغير تهاون ودون محاولة التهرُّب واستغلال الثغرات. ويرفع من قَدْرهم حُسْن تعامُلهم مع الزملاء والعملاء، وأداء الخدمة كاملة بحسب القواعد دون سعي للكسب الحرام أو قبول الرشوة، وخدمة المجتمع بغير نظر إلى الوجوه:

"لا بخدمة العين كمَن يُرضي الناس، بل كعبيد المسيح، عاملين مشيئة الله من القلب" (أف ٦: ٦)، مع إتقان العمل في الوقت المُعيَّن.

(١٠) التاجر والبائع:

نحن لا نستغني عن **التاجر والبائع**، كما أنهما مُحتاجان للمشترين، والعلاقة بين الطرفين تتطلَّب الأمانة، فلا يسلب أحدهما حقَّ الآخر. والكتاب صريحٌ في إدانة الغش في الوزن أو رَفْع الأسعار لزيادة الربح: **"موازين غش مَكْرَهة الرب، والوزن الصحيح رضاه"** (أم ١١: ١). فالغش في الوزن هو سرقة صريحة، والرب نَهى عن السرقة في الوصية الثامنة من الوصايا العشر: **"لا تسرق"** (خر ٢٠: ١٥؛ لا ١٩: ٨؛ تث ٥: ١٩)، فضلاً عن أنَّ السرقة مهما تضاءلت هي إهانة للكرامة الإنسانية. والمال الحرام كما يأتي سهلاً، يتبدَّد سهلاً؛ وعاقبته دمار الحياة هنا، والعقاب الأبدي في اليوم الأخير.

(١١) الموظف العام:

الموظف الحكومي هو مُمثِّل سُلطة الدولة، ولكنه في نفس الوقت خادم للمواطنين civil servant مهما عَلا منصبه، فهو يأخذ راتبه من الضرائب التي تُحصِّلها الدولة من الشعب، فلا مجال إذاً للتعالي على مواطنيه أو التمييز بينهم أو تعطيل معاملاتهم كي يضطرهم لرشوته. ومطلوبٌ من كلِّ موظف عام، خاصةً مَن تحت أيديهم أموال أو مقتنيات، أن يكونوا أُمناء عليها، وطاعةً للوصية لا يشتركون في أعمال الظلمة بل بالحري يوبِّخونها ويدينونها (أف ٥: ١١). فمَن هو نورٌ لا يمكن أن يختلط بالظلمة لأنهما ضدَّان

(٢كو ٦: ٤)، وباب الموظف المسيحي مُغلق أمام الرشوة والتزوير والتجاوزات بأنواعها؛ بل إنَّ وجود المسيحي في أيِّ موقع هو ضمان لاستقامة العمل وبراءته من الفساد.

(١٢) الفنَّانون:

ولا ننسى المشتغلين بالفنون من: موسيقى وترنيم وغناء ورسم ونحت وسينما ومسرح وغيرها، وكلها وسائل يمكن بها تمجيد الله. ومن بدايات الخليقة جاء **يوبال** من نسل **قايين**: **"الذي كان أباً لكلِّ ضارب بالعود والمزمار"** (تك ٤: ٢١). وفي عصر الملوك، عرفنا الشاب **داود** الراعي التَّقي والمُرنِّم الذي صار مَلِكاً عظيماً، ومن نسله جاء المسيح حسب الجسد، ومزموره المائة والخمسون الشهير: **"سبِّحوا الله في قُدْسه... بصوت البوق (الصور)... برباب وعود... كل نَسْمة فلتُسبِّح الرب"** تختم به الكنيسة صلوات القدَّاس. ومزاميره التسبيحية كانت تُغنَّى جماعياً مع الآلات الموسيقية.

وفي رسائل القديس بولس دعوة للترتيل: **"مُكلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مُترنِّمين (بنعمة) ومُرتِّلين في قلوبكم للربِّ"** (أف ٥: ١٩؛ كو ٣: ١٦). والترنيم في اجتماعات الكنيسة، شرقاً وغرباً، هو مصدر للتعزية، وهو صلاة مُغنَّاة، واستثمار لمواهب الإنسان الفنية لتمجيد الله.

وبعض الموسيقى، مثل السيمفونيات الكلاسيكية المعروفة (ومنها الدينية)، هي غذاء للنفس تحملها إلى ذُرَى الآفاق كأنها خارج الزمن. ولا ضير من غناء يُخاطِب أجمل ما في الإنسان من مشاعر ويحثُّ

على محبة الوطن والمحبة بعضنا لبعض، ويُعلي من المبادئ السامية ويُنهي عن الرذائل.

وفي مجال الرسم والنحت، كرَّس فنانو عصر النهضة وغيرهم، مواهبهم في تسجيل حياة الرب ورُسله وآباء العهد القديم، وترجموا النصوص المكتوبة في لوحات وأيقونات وتماثيل زيَّنت جدران الكنائس وجسَّدت أحداث الكتاب مُصوَّرة أمام أعيننا.

كما أنَّ فناني السينما أثَّروا في حياتنا وأذهاننا بأفلام لا تُنسى عن حياة الرب وقصص الكتاب، فكانت وسيلة كرازة جذَّابة لغير المؤمنين، فضلاً عن تعليم الكبار والصغار. فهُم بموهبتهم مع غيرهم، خدموا الإنجيل كما خدمه المُفسِّرون والروحيون على مدى الأجيال.

وكل عمل فني يُثير الفرح ويحضُّ على **"ما هو حقٌّ.. ما هو جليلٌ... ما هو عادلٌ... ما هو طاهرٌ... ما هو مُسرٌّ، ما صيته حسنٌ"** (في ٤: ٨)، حتى ولو لم يكن عظة مُباشرة، فهو استخدام في موضعه لمواهب أودعها الله في الإنسان(٧).

وعلى الفنان المسيحي أن يحفظ موهبته من أن يستغلها الشيطان لإثارة الشرور ومُخاطبة الإنسان العتيق.

(١٣) الأعمال الصغيرة:

كما أبْدَى الرب اهتمامه بالكائنات الضعيفة: طيور السماء (مت ٦: ٢٦)، والعصافير (مت ١٠: ٢٩،٣١؛ لو ١٢: ٦،٧)، وزنابق

---

(٧) والمسيح في مَثَل **الابن الضال**، عبَّر عن فرح الأب ومَن حوله بعودة ابنه الضال، بأنه كان هناك **"صوت آلات طَرَب ورَقْص"** (لو ١٥: ٢٥).

الحقل (مت ٦: ٢٨)، والقطيع الصغير (لو ١٢: ٣٢)، والأطفال الصغار (مت ١٨: ١٠)، وكما اقترب من الطبقات المسحوقة وتحنَّن عليها كخراف هائمة لا راعي لها (مت ٩: ٣٦؛ مر ٦: ٣٤)، فالأعمال الصغيرة لا يُستَغْنَى عنها ولها دورها في المجتمع كعنصر هام في منظومة العمل. فعُمَّال النظافة والخَدَم وحُرَّاس المباني والباعة المُتجوِّلون، كلهم يقومون بأعمال جديرة بالاحترام، ولا يليق النظر إليهم نظرة دونية. ومِن جانبهم يلزم أن يتحلَّوْا بالأمانة والاستقامة ليكون عملهم مرضياً قدَّام الله والناس.

■ ملاحظات:

(١) في الماضي، كانت المرأة لا تُفارِق البيت، حيث كانت تعمل نهاراً وليلاً في خدمة أسرتها، وعنها يذكر سِفْر الأمثال: **"تطلب صوفاً وكتَّاناً... تمدُّ يديها إلى المغزل... تبسط كفَّيها للفقير... تصنع قُمصاناً وتبيعها... تُراقب طُرق أهل بيتها، ولا تأكل خُبز الكسل"** (أم ٣١: ١٣، ١٦، ٢٠، ٢٤، ٢٧).

الآن، تغيَّرت الأحوال، وصار من الطبيعي أن تتأهَّل المرأة بالدراسة لعملٍ بعينه، فربما لا تتهيَّأ لها فرصة للزواج أو الإنجاب. هنا يصير العمل ملجأها للحياة الكريمة بغير أن تعتاز. فإن تزوَّجت فهي تُسهِم مع زوجها في أعباء الحياة المُتزايدة. وعند تعطُّله أو عجزه أو وفاته، تُعوِّض بدخلها ما يحفظ بيتها قائماً. وفي حالة إنجابها، فمِن الحكمة أن تتفرَّغ من عملها لتربية أطفالها خلال السنوات الأولى الهامة من عمرهم، ثم تعود للعمل إذا احتاجت، إلاَّ إذا كانت ظروفها تسمح بالتفرُّغ، فتعبها في بيتها وتربية أولادها مُهمة عُظمى ربما تفوق أهمية العمل وقيمته.

وربة البيت الحكيمة، هي التي بمعونة النعمة، تنجح في تربيـــة أولادهـــا في طريـــق الإيمان؛ وتضبط الإنفـــاق، فـــلا تضطر للاقتراض، ولا تُسْـــرِف في الاهتمام بنفسها، وتحفظ حـــقَّ الله في مالها وجهدها من الضياع.

(٢) ربما يُصيبنا الإحباط حين نرى المنحـــرفين وغـــــير الأمنـــاء في مقدِّمـــة الصفوف، وهم يجمعون الأموال والممتلكات، فنتذكَّر صيحة النبي إرميا: **"لماذا تَنْجَحُ طريقُ الأشرار؟"** (إر ١٢: ١). وقد يُخالجنا الشـــعور أننا رغم أمانتنا في العمل، كمَن يحرث في البحر، وأعجز مـــن أن نُغيِّـــر المجتمع الفاسد الموضوع في الشرير؛ بل ربما نخشى أن يُوقَع بنا للتخلُّص مِنَّا.

رغم كـــل شيء، علينا أن نثق أننا محفوظون في حماية القدير، و**"إن كان الله معنا فمَن علينا"** (رو ٨: ٣١)، ولن نضطر يومـــاً أن نُجاري الفاسدين لتفادي شرهم، سالكين بالحقِّ طاعةً لإلهنا الذي منه ننتظر المجـــازاة لا مـــــن النـــاس. وسيظل الزوان ينمو مع الحنطة، حتى يأتي يوم الحصاد حين يقف كلٌّ منهما أمام الديَّان العادل (٢تي ٤: ٧).

(٣) مـــن الأهميـــة بمكان تشجيع العاطـــل والمُتكاسل والفقير المُعدَم على العمل طالما هـــو قـــادر عليه، لا أن يعتمـــد على الآخريـــــن في الحصول على القوت. وفي مجالات الخدمة الجيِّدة لا يكتفـــون أن يُقـــدِّموا طعاماً ومساعـــدات، وإنما يُبدعون برامـــج للتدريـــب علـــى الحِـــرَف وتعليم الأُميِّين وفَتْح مجالات للتوظيف؛ فهذه هي الخدمة المُثلـــى لهـــؤلاء، والتحقيق الإيجابي لإشباع الجيـــاع وإرواء العطـــشى وكســـاء العرايـــا. ويُحفِّزنا هـــنا المَثَل الصيني الذي يقول: **"بَـــدَل أن تُعطـــي الفقـــير**

سمكة (يأكلها ويظلُّ محتاجاً)، **أَعطِه سنَّارة** (يصطاد بها السمك، فيعمل ويكسب ويقتات ويسترد إنسانيته، ولا يكون عالة على أحدٍ).

(٤) يتعرَّض نظام الرهبنة للانتقاد من فريقَيْن متضادَّيْن: أحدهما يقول إنَّ الرهبنة تحتقر العمل من أجل العبادة؛ والآخر يقول إنَّ الرهبنة قد تخلَّت عن النُّسك، والرهبان يعملون في الأديرة في شتَّى المجالات.

والحقيقة أنَّ الرهبنة لم تكن يوماً تهرُّباً من العمل؛ بل إنَّ العمل هو جزءٌ من مهام الراهب الأساسية يقف موازياً لشروط الرهبنة المعروفة، أي العفة والفقر الاختياري والطاعة. وعمل الراهب ليس فقط لسدِّ حاجاته الجسدية، ولكي يُعطي مَن له احتياج؛ وإنما لأنه استثمار للوزنات التي أودعها الله في الإنسان، وتعبير عن رَفْض الدِّعة والكسل والراحة التي هي ضد نهج الجهاد الروحي. كما أنَّ العمل لا يسمح بالفراغ الذي يدلف منه الشيطان وأفكار العالم وشهوات الجسد.

ولكن عمل الراهب لم يكن يوماً بديلاً عن عبادته ونُسكه. ويُسجِّل التاريخ الكنسي عن آباء الرهبنة الكبار، سواء في مرحلتها الأنطونية (الوحدة) أو الباخومية (الشركة)، أنهم كانوا جميعاً يعملون بأيديهم بين فترات الصلاة والعبادة الطويلة. وخلال العمل يكون القلب مرفوعاً باللَّهج في المزامير أو الترتيل والتسبيح، فلا مجال للشرود أو لكثرة الكلام.

شكراً لله الذي وهبنا **نعمة الحياة معه**، وأيضاً **نعمة العمل** التي بها نشترك مع الله العامل في الكون كله (١كو ٣: ٩).

وإذ نُعلِّم تلميذاً، أو نُعالِج مريضاً، أو نبني بيتاً أو جسراً، أو نصنع سيارة، أو نزرع أرضاً، أو نقضي بين الناس، أو نُدافع عن الحقِّ، أو نحفظ الأمن، أو نحمي الحدود ونرد الاعتداء، أو نتّجر، أو نعزف، أو نُغني ونُرتِّل، أو نرسم، أو حتى نحرس البيت أو ننظف الشارع؛ فنحن نُمجِّد الله بطاعة مشيئته واستثمار عطاياه.

وسواءٌ كُنَّا نُصلِّي في الكنيسة أو يُمارِس كلٌّ مِنَّا عمله، فنحن في حضرة الله الذي **"به نحيا ونتحرَّك ونوجَد"** (أع ١٧: ٢٨)، والذي **"منه وبه وله كل الأشياء"** (رو ١١: ٣٦).

وفي اليوم الأخير ستتقدَّمنا، ليس فقط أعمال إيماننا من محبة وعبادة وخدمة؛ وإنما أيضاً سائر أعمالنا التي مارسناها لحساب الله.

وعلى قَدْر أعمالنا، في الحالين، سيكون الجزاء.

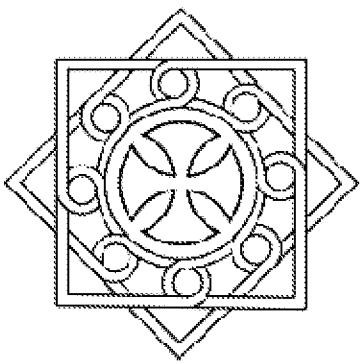

"كونوا رجالاً"

في ختام رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، يكتب القديس بولس هذه الكلمات: **"اسهروا. اثْبُتُوا في الإيمان. كونوا رجالاً"**(١). **تَقَوَّوْا"** (١كو ١٦: ١٣).

ويعنينا هنا وصيته: **"كونوا رجالاً"**. ولأن رسالته كانت موجَّهة إلى كلِّ الكنيسة برجالها ونسائها وصغارها. فالمعنى المقصود، إذاً، يتجاوز الرجولة الجسدية والأخلاقية إلى **الرجولة الروحية** بسماتها المسيحية.

الرجولة الجسدية، تعني قوة العضلات والصلابة والقدرة على الاحتمال ومواجهة الأخطار بغير خوف. وبعض هذه الصفات وراثي وبعضها مُكتسَب، ولكنها تتراجع مع الضعف والمرض والشيخوخة.

---

(١) أو **"كونوا كالرجال"** be like men، أو **"كونوا شُجعاناً"** be brave (في ترجمات أخرى).

والرجولة الأخلاقية، والتي تُكتَسَب بالتربية والتعليم ومن خلال القدوة، تقصد ضمن ما تقصد: الجديَّة والنجدة والتضحية والمؤازرة وحماية الضعيف والدفاع عن حقوقه، وشجاعة الاعتذار عند الخطأ، والثبات في المحن.

ولكن **الرجولة الروحية** أمرٌ آخر. فهي هبة النعمة للذين يعيشون بالإيمان ويطلبونها من إلهنا الغَني، فيُضيء فيهم شخص المسيح ويهبهم حيوية وتألُّقاً، ويُعطَوْن القدرة على ضبط النفس وقَمْع الجسد والجهاد ضد الخطية، وممارسة التوبة بغير تحفُّظ، والتحرُّر من الخوف، والأمانة حتى الموت، والشهادة للحقِّ، والصلابة أمام الإغراء والوعيد، والصمود أمام التجارب والشدائد، وحَمْل الصليب واحتمال الآلام من أجل الإيمان، والاستقامة وعدم التذبذُب، والقناعة وعدم الشكوى والتذمُّر، وعدم الانحصار في الحزن والهَمِّ، والتحرُّر من محبة المال، والتسامُح والغفران، والتعفُّف عن الانتقام.

الرجولة الروحية بهذه المعاني هي، إذاً، ليست للرجال والشباب وحدهم، وإنما هي للكل: رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً؛ يشتركون في احتمال المشقَّات كجنودٍ صالحين ليسوع المسيح (٢تي ٢: ٣).

ووصية القديس بولس هذه، تجد صداها في كلمات الرب عن الحياة المسيحية التي دعا إليها، إنها ليست نُزهة وإنما هي مُمارسة جادَّة تهبها النعمة، وعبَّر عنها بالدخول من الباب الضيِّق إلى الطريق الكَرِب المؤدِّي وحده إلى الحياة الأبدية (مت ٧: ١٣،١٤؛ لو ١٣: ٢٤)، وأنَّ **"ملكوت السموات يُغصَب، والغاصبون يختطفونه"** (مت ١١: ١٢).

■ نماذج مُلهمة:

+ يتقدَّم الكل **الرب يسوع** كأعظم الرجال، الذي ثبَّت وجهه نحو الصليب و لم يتهرَّب منه، بل إنه انتهر بطرس الذي بدافع محبته حثَّ الرب على تجنُّب الموت (مت ١٦: ٢٢)، وبقبول الرب للموت غلبه ناقضاً أوجاعه وظافراً بالقيامة.

+ **والعذراء أُمُّنا**، وهي الفتاة الآتية من ناصرة الجليل، تتلقَّى بشجاعة بشارة الملاك بأن تكون والدة ابن الله المُتجسِّد، فتنحني طائعة لمشيئة الرب قائلة: **"هوذا أنا أَمَة الرب. ليكُن لي كقولك"** (لو ١: ٣٨). وبعد عقودٍ من المطاردة والعناء، تقف تحت الصليب الذي يحمل ابنها الفادي. ولأنها تعرف أنَّ في موته الدامي خلاص العالم، فهي تنطوي صامدة على السيف الذي يجوز في قلبها وتُسلِّم مشيئتها للتدبير الإلهي.

+ **وتلاميذ الرب ورُسله** هم أنوار ساطعة في ميدان الرجولة مُتمثِّلين بسيِّدهم (١كو ١١: ١). فهُم يخرجون من السجن، لا ليتواروا خوفاً، وإنما ليُبشِّروا من جديد (أع ٥: ٢٠،٢١). وبعد جلدهم يذهبون فرحين أنهم حُسِبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسم الرب (أع ٥: ٤١).

والقديس بولس يقول عن خدمته: **"لستُ أَحتَسب لشيء، ولا نفسي ثَمينة عندي، حتى أُتَمِّم بفرح سَعْيي والخدمة التي أَخذتُها من الرب يسوع، لأَشهد ببشارة نعمة الله"** (أع ٢٠: ٢٤).

والقديس بطرس يقف في ساعته الأخيرة أمام صليبه مُتماسكاً شُجاعاً، حاضر الذهن، ويرى نفسه غير مُستحق أن يُصلَب كسيِّده ويطلب أن يُصلَب مُنكَّس الرأس.

+ ومثلهم **كل الشهداء** على مدى العصور، الذين لم يهابوا الموت، وقدَّموا حياتهم حبّاً في الملك المسيح، وبينهم النساء والشباب بل والصغار والبسطاء.

كما أنَّ **القديسة رفقة** تجاوزت غريزة الأُمومة تجاه أولادها الخمسة، و لم تشأ أن تُسلِّم نفسها للموت قبل أن تُعاين استشهادهم ودخولهم المجد، لئلا يتم التأثير عليهم بعد انتقالها.

+ ولا ننسى الذين التفُّوا حول الرب وهو يقترب من الصليب، حين انفضَّ عنه الجميع وهربوا (مت ٢٦: ٥٦؛ مر ١٤: ٥٠)، مثل **يوسف الرامي ونيقوديموس** اللَّذَيْن لم يحرصا على موقعيهما في المجمع، بل دافعا عن الرب، وبعد موته أخذا جسده ودفناه في قبر يوسف الرامي الجديد (إش ٥٣: ٩، مت ٢٧: ٥٧-٦٠؛ مر ١٥: ٤٣-٤٦؛ لو ٢٣: ٥٠-٥٣؛ يو ١٩: ٣٨-٤٢)؛

وسمعان القيرواني الذي وهو عائد من حقله، وجد نفسه في صدارة موكب الصليب، فلما سخَّروه ليحمل الصليب لم ينسحب أو يتعلَّل، ولكنه ارتضى أن يكون واحداً من أتباع المخلِّص ولو في ساعته الأخيرة (مت ٢٧: ٣٢؛ مر ١٥ ١١؛ لو ٢٣: ٢٦)؛

كما لا ننسى **المريمات** اللائي كُنَّ أشجع من بعض الرجال في وجودهن إلى جوار الرب وأُمه العذراء وقت آلامه وحتى الصليب والقبر، وكوفئن، مِن ثَمَّ، أن يكُنَّ أول شهود قيامته المجيدة.

+ وفي أيامنا هذه، نذكر سُكَّان قُرانا المُحاصَرين بالكراهية والعنف، والصامدين أمام تهجيرهم وحرق بيوتهم وكنائسهم، أو سَحْل شبابهم وقتلهم؛ ولكنهم يقفون، رجالاً ونساءً، يحتملون الموت والألم والخسائر من أجل إيمانهم الذي تسلَّموه من آبائهم عَبْر الأجيال.

+ كما نذكر **يوسف** الشاب العبراني الذي كان عبداً غريباً في بيت فوطيفار، وساندته نعمة الله فلم يُذعِن لسطوة امرأة سيِّده، ورَفَضَ الانصياع لرغبتها، وأفلت من بين يديها تاركاً ثوبه معها، وقانونه: **"كيف أصنع هذا الشر العظيم، وأُخطئ إلى الله؟"** (تك ٣٩: ١٠، ١٢).

نعم، إن الانفلات من سجن الشهوة هو تعبيرٌ أكيد عن الرجولة، خاصةً لَمن هم في سنِّ الشباب. وفي هذا المجال يُذكر أيضاً المجاهدون الذين قبلوا الدعوة واختاروا البتولية طريقاً لتكريس حياتهم، سواء للعبادة في البراري، التي بدأها نجما البريَّة **أنبا بولا وأنبا أنطونيوس**؛ أو لخدمة الرب والكرازة للعالم بالإيمان.

+ كما أنَّ وقوف الراعي ليحمي شعبه أمام مؤامرة الأشرار، الذين يُريدون اختطافهم أو التهامهم، هو من جوانب الرجولة في الخدمة. **فموسى** ترك حياته الهانئة في بيت فرعون وفضَّل المذلَّة مع إخوته، **"حاسباً عار المسيح غِنًى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظُر إلى المجازاة"** (عب ١١: ٢٤-٢٦).

وكان **أثناسيوس**، شمَّاساً وبطريركاً، أسداً مِقْدَاماً في الدفاع عن الإيمان دون أن يهاب كثرة الأعداء وقوَّتهم، بل تشدَّد وتشجَّع مُعلناً أنه **"ضد العالم"** Contra Mondum، حتى صار هذا لقبه.

+ ويُبرز لنا من العهد القديم نماذج عظيمة في الشجاعة تمسكاً بالإيمان، مثل **الفتية الثلاثة** الذين ظلُّوا على عبادتهم في أرض السبي و لم تردعهم نار الأتون؛ كما أنَّ **دانيال** رَفَضَ طاعة أَمْر الملك داريوس و لم يَخَف أن يُلقَى في جُبِّ الأُسود، حيث أرسل الله ملاكه وسدَّ أفواههم؛ **ويوحنا المعمدان** الذي شهد بالحقِّ أمام هيرودس و لم يتراجع أمام حدِّ السيف.

+ ولا شكَّ أنَّ موقف **التوبة والرجوع إلى الله** بعد التِيه، هو تعبيرٌ عن الرجولة الروحية، حيث يُقاوِم التائب الشعور بالخجل والمهانة وربما بالفضيحة، وحيث يكون الانفصال عن الخطية ورفاقها أشبه باقتلاع العين أو بَتْر الذراع، والذي تغلبه نعمة الله التي استثارت فيه التوبة.

نذكر هنا من العهد القديم، توبة **داود**، وهو النبي والملك الذي لم يُكابر أو يُبرِّر (٢ صم ١٢: ١٣)، بل صارت مزامير توبته إلهاماً لكلِّ التائبين.

ويعرض لنا الإنجيل توبة **المرأة الخاطئة** (لو ٧) التي لم تُلْقِ بالاً إلى المجتمعين في بيت سمعان الفرِّيسي ونظرة احتقارهم لها، وإنما حصرت انتباهها في شخص المسيح وحده، فخرجت من عنده مغفورة الخطايا.

ومثلها موقف **الابن الضال** الذي لم يُبالِ بالعقبات أمام عودته إلى بيت أبيه بعد أن اختار، بملء إرادته، أن يأخذ نصيبه من ميراث أبيه وهو بعد حي، وباستهتاره وطياشته بدَّد كل شيء، وربما استهول أن يعود مُنكسراً مهزوماً خالي الوفاض فيسمع ما لا يطيق، وربما جرى طرده قبل أن يصل إلى تخوم أملاك أبيه. ولكنه استجمع شجاعته واستعدَّ لكل

التبعات التي رأى أنه يستحقُّها، واتَّجه إلى بيته القديم يطلب عفواً؛ فكان في رجوعه نجاته، فقد أحاطت به محبة أبيه الذي كان ينتظر عودته.

كما نذكر أيضاً دموع **بطرس** الذي بعد أن أنكر الرب، استعظم خطيئته وغسلها بخروجه من دائرة الضعف إلى ساحة قوَّة التوبة المُكلَّلة بالبكاء المُرِّ (مت ٢٦: ٧٥؛ مر ١٤: ٧٢؛ لو ٢٢: ٦١،٦٢).

+ وبنفس القَدْر، فإنَّ **السلوك بالاتضاع** أمام الله والناس، يحتاج إلى معونة إلهية خاصة من أصحاب المراكز والمواهب المرموقة، وهو قمة الرجولة المسيحية وقوَّتها، وليس عنواناً للضعف كما يفهم البعض. والرب هو قدوتنا، إذ، وهو **ملك الملوك، "أخلى نفسه آخِذاً صورة عبد"** (في ٢: ٧). وهو أوصى تابعيه أنْ **"تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحةً لنفوسكم"** (مت ١١: ٢٩).

■ عندما تغيب الرجولة المسيحية:

في غياب الرجولة المسيحية، يسود الضعف والتخاذُل والكسل والهزال، والميوعة والرخاوة، والخضوع للشهوة، والرياء والادِّعاء والتصنّع، والتديُّن الشكلي وازدواج الحياة، والمراوغة والكذب والمكابرة والتبرير والتهرُّب، والنفاق والخنوع والخوف والتبرّم والتردُّد، ومحبة المال والميل للتنعُّم والتَّرَف والزينة، والأنانية والخيانة. وعند الحصار قد يُنكَر الإيمان بالكامل.

والنماذج كثيرة من حولنا، قديماً وكل يوم. **فآدم وحواء** بَدَل الاعتراف بالذنب، عمَدا إلى التبرير والتهرُّب (تك ٣: ١٢،١٣). **وقايين** يُكابر أمام الله العارف بكلِّ شيء (تك ٤: ٩). **وامرأة لوط**، باستهتارها في الساعة الحاسمة للنجاة، تفقد الحياة (تك ١٩: ٢٦). **وعيسو** المستبيح، يبيع بكوريته بأكلة عدس، كما يفقد بركة أبيه (تك ٢٥: ٣٣؛ ٢٧: ٣٨).

+ **ويهـــوذا الإسخريـــوطي**، غَلَبَه الطمع و لم يحتمل أن يُبدِّد الـــرب آماله، رافضاً أن يتبعه إلى النهايـــة ويُشاركه آلامه، فباعه بالقليل؛ ولما عاد إلى نفسه، تنكَّب الطريق إلى التوبـــة، فَفَقَدَ كـــل شيء (مت ٢٧: ١٥؛ أع ١: ١٨).

+ **وبيلاطس**، وهـــو الحاكـــم الروماني ذو السلطان، والذي كان بيده أن يحكم بإطلاق يسوع البار، خضع لأصوات الغوغـــاء ورؤساء الكهنة، وسقطت رجولتـــه في الامتحان وتنكَّر للحـــقِّ مخذولاً (لو ٢٣: ٢٥).

+ **وفيلكس الوالي**، عندما سمع الدعوة لتبعية يسوع من بولس الأسير، خانته شجاعته وخاف على موقعه واستكثر ثمن توبته، ومرتعباً يطلب من بولس أن يذهب على أن يستدعيه متى توفَّر الوقت، الذي لم يأتِ. وهكذا أفلتت منه فرصة خلاصه (أع ٢٤: ٢٤،٢٥).

+ والقديس بولس يكتب حزيناً عـــن **ديماس** الذي تركـــه إذ أحـــبَّ العالم الحاضر (٢تي ٤: ٩).

نعم، فالطريـــق ليس آمِناً، والأخطار تترصَّد المُجاهديـــن. وكثـــيرون يختبرون حيـــاةً ممتلئة بالنصرة والقوَّة، ثم يـــدبُّ فيهم الضـــعف عنـــدما يرتـــدُّون للماضي منخدعـــين مـــن شـــهوتهم (يـــع ١: ١٤)؛ وإنْ لم تُدركهم مراحم الله ويعرفون طريق التوبـــة، فقد لا يســـتعيدون قـــوَّتهم، ويسبقهم المبتدئون والخطاة الراجعون.

"كونوا رجالاً"، هي دعوة للجميع، وهي وصية تُحتِّمها الحياة المسيحية، وتحمل في طيَّاتها نعمة بلوغها. على أنَّ البعض مع هذا سيقف أمامها عاجزاً، لأن التصاقه بالخطية يجعل حياة البرِّ عنده حُلماً بعيد المنال.

والبعض يتحكَّم فيه الخوف وصِغَر النفس، فيرى إمكاناته قاصرة عن الإيفاء بالتزامات الحياة المسيحية. والبعض مِمَّن تُحاصره الهموم وأتعاب الزمان، يرى نفسه فاقد الهمَّة للجهاد والحرب الروحية.

هؤلاء أعذارهم حقيقية، ولكنها مع هذا غير مقبولة؛ ذلك أنَّ بلوغ الحياة المسيحية بكل بهائها وقوَّتها، هو ممكن فقط بعمل النعمة التي تستثير التوبة، وتطرح الماضي بظلامه كأن لم يكن.

عندما يلتقي **العمل الإلهي مع الإرادة الطائعة**، يتحوَّل أعتى الخطاة إلى أعظم القدِّيسين.

نعم، **فالنعمة تصنع الرجال.**

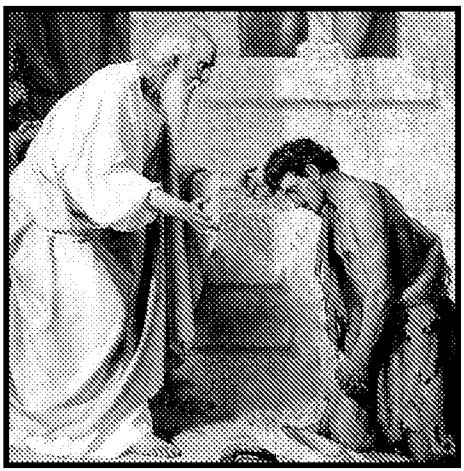

"أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقا أن أدعى لك ابنا" (لو١٥: ٢١)

(انظر ص ٧٩)

عن وصية المحبة

- عن المحبة المسيحية
- "أحبوا أعداءكم"
- "يبغض نفسه"

عن المحبة المسيحية

مع أنَّ **"المحبة"** هي الوصية الأولى والعُظمى، بل إنها الشهادة أننا نعرف الله: **"مَن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة"** (١يو ٤: ٨)، فإنه ما أسهل تزييفها والانحراف عنها بحيث نبدو **كأننا نحب**. فمحبتنا لله يمكن أن تكون بالشفاه والقلب مُبتعد بعيداً، وقد نُصلِّي ونصوم ونقرأ الكتاب ونُعطي العشور، ولكن هذا كله يتم آلياً دون أن تتغيَّر الحياة، فالتوبة لا موضع لها، والعلاقات مع الله مؤقتة جزئية ويغلب عليها النفعية، وسلوكنا لا يختلف عمَّا لأهل العالم. وما نُسمِّيه **محبة القريب**، يتحوَّل إلى ممارسة علاقات اجتماعية آلية متبادَلة تفرضها المجاملات(١)، لا علاقة لها بالمحبة المسيحية، وقد لا تتجرَّد من الغيرة أو حتى من الكراهية!

---

(١) أو ما يُسمُّونه "الإتيكيت" Etiquette وقواعد اللياقة.

+ المحبة المسيحية هي غير العلاقات السائدة في العالم من العطاء فالأخذ، أو العطاء للأخذ. فالناس يُقدِّمون الهدايا أو يُقيمون المآدب لبعضهم في المناسبات المختلفة، وفي الذهن أنَّ هذه سوف تُرَدُّ في مناسبات مماثلة، وإن تناسى الناس الردَّ تتأثر العلاقات وتتوتر ويسقط المقصِّرون من قائمة المودَّة(٢).

المحبة المسيحية عمادها العطاء لا الأخذ (أع ٢٠: ٣٥)، والمسيحي يُعطي دائماً لأن محبته هي من ثمر الروح القدس (غل ٥: ٢٢) التي لا تنتظر مُقابلاً. وهي ليست علاقة مادية نفعية فهذه لا تدوم، وإنما هي قلبية روحية تنمو وتزيد ولا تنفد، لأن إمدادها الإلهي لا يتوقَّف، وتمتدُّ إلى حدِّ بذل النفس: **"ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبائه"** (يو ١٥: ١٣).

+ والرب وسَّع مدى المحبة. فبعد أن كان الإنسان يُحسَب أنه أوفى ما عليه عندما يحب قريبه، ويُكِنُّ لعدوِّه البغضة، أكمل الوصية بقوله: **"أما أنا فأقول لكم: أَحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أُحسِنوا إلى مُبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم"**، وبهذا يُظهِرون أنهم أبناء أبيهم الذي في السموات الذي يفيض بنِعَمه على الكل أبراراً وظالمين (مت ٥: ٤٣-٤٥).

وأضاف الرب مُبيِّناً أنه لا فضل للأعمال الطيِّبة التي سينال صاحبها أعمالاً طيبة في المقابل: **"لأنه إنْ أحببتم الذين يحبُّونكم، فأيُّ أجر لكم؟"** (مت ٥: ٤٦)، **"وإذا أحسنتُم إلى الذين يُحسِنون إليكم، فأيُّ**

---

(٢) والرب حثَّ هنا على دعوة واستضافة مَن لا يملكون الرد حتى تكون المكافأة من الله (لو ١٤: ١٢-١٤).

فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يفعلون هكذا. وإن أقرضتُم الذين تَرْجُون أن تستَرِدُّوا منهم، فأيُّ فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يُقرِضون الخطاة لكي يسترِدُّوا منهم المِثْل. بل... أحسِنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العَليِّ..." (لو ٦: ٣٣-٣٦).

وعلى المسيحي، بحُكْم مسئوليته الإيمانية، أن يبدأ بالفعل: **"فكل ما (وكما) تُريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء"** (مت ٧: ١٢؛ لو ٦: ٣١).

+ والرب بيَّن في مَثَل **السامري الصالح** (لو ١٠: ٢٥-٣٧) أنَّ **القريب** الذي ينبغي أن أحبه ليس هو فقط قريبي بالجسد أو صديقي، وإنما كل مَن تضعه النعمة قريباً مني أو في طريقي، أو كل مَن هو في حاجة إلى المعونة (ولو كان عدوّاً). وهو عطاء في اتجاهٍ واحد، أي لا ينتظر المقابل، والمكافأة تأتي في اليوم الأخير من الله الغَني.

+ وفي آيات الكتاب، ما يستكمل أوصاف هذه المحبة المسيحية(٣). فعمادها الصدق وعدم الرياء (رو ١٢: ٩؛ ٢كو ٦: ٦؛ أف ٤: ١٥)، وهي ليست آلية عابرة وإنما هي متضعة لا تتفاخر، مُتجرِّدة لا تطلب ما لنفسها، خيِّرة لا تفرح بالإثم، نقية لا تحسد ولا تظنُّ السوء (١كو ١٣: ٤-٦)، وهي جادَّة تتحمَّل المسئولية وتَرضَى بالتعب (١تس ١: ٣) والخدمة (غل ٥: ١٣). وتتطلَّب السعي وبذل الجهد، والمشاركة في الفرح والحزن (رو ١٢: ١٥)

---

(٣) ويُطلَق عليها في الكتاب **"المحبة الأخوية"** (رو ١٢: ١٠؛ ١تس ٤: ٩؛ عب ١٣: ١)، أي المحبة العامة للكل كإخوة في المسيح.

وإنفاق المال (رو ١٢: ١٣) وحتى التضحية بالنفس(٤). أمَّا المحبة الرخيصة بالكلمات المعسولة والمجاملات الشكلية التي لا تُكلِّف شيئاً، فلا تليق بالمسيحيين: **"يا أولادي، لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق"** (١يو ٣: ١٨).

■ عن المحبة العائلية:

يرى البعض أنَّ المحبة هي أمرٌ تلقائي طبيعي، كما نراه بين أفراد العائلة أو بين الأصدقاء، ولا يحتاج الأمر مِن ثمَّ على التأكيد على عمل النعمة هنا. ويقولون إنَّ الله كما أودع من حياته في نفوس البشر (تك ٢: ٧)، فهو أيضاً وهب محبة فطرية في قلوب أفراد العائلة (وحتى الطيور والثدييات بما فيها الوحوش لحماية النوع). فالحب يربط بين الزوجين وهما يفيضان بحبِّهما ورعايتهما لأولادهما(٥) حتى يشبُّوا عن الطَّوْق، ويرتبط الإخوة والأخوات برباط وثيق من العاطفة واستعداد للخدمة. وهؤلاء عندما يُكوِّنون عائلاتهم بالتالي سيردُّون ما تمتَّعوا به من الرعاية والمودَّة في أولادهم وهكذا.

ورغم ما يبدو في ظاهر الكلام من صواب، إلاَّ أنَّ هذه المحبة الفطرية لا تدوم إلاَّ بعمل النعمة. ووصايا الله بإكرام الوالدين (خر ٢٠: ١٢؛ تث ٥: ١٦)، ومحبة القريب كالنفس (لا ١٩: ١٨؛ مت ١٩: ١٩؛

---

(٤) في الإنجليزية هذا التعريف المُكثَّف للمحبة:

«Love is caring, sharing, giving and forgiving».

(٥) هناك بالفعل علاقة عضوية حقيقية بين الأولاد ووالديهم. فكل طفل ينشأ من اتحاد مشيجتين gametes: واحدة من الأُم، والأخرى من الأب؛ وبالتالي هناك أيضاً علاقة عضوية بين الأولاد وبعضهم وبالأكثر بين التوائم.

٢٢: ٣٩؛ مر ١٢: ٣١؛ لو ١٠: ٢٧)، نُخْفِق في تنفيذها بدون المساندة الإلهية (يو ١٥: ٥) والجهاد الصادق. وبغير خضوع النفس بالإيمان لعمل الله الذي يضبط جموح انفعالات الجسد؛ تتعثَّر المحبة، وتُهاجم العائلة الأنانية وانحراف القلب وتُقسِّيه، ويعرف الزوجان طريق الخيانة أو الخلاف على الأشياء الميتة. هنا تُصادفنا تداعيات الكراهية والغضب والخصومة والتراعات على المال والممتلكات، ونسمع عن جرائم القتل تأتي من كل أطراف العائلة من كل دين.

ونذكر أنه في فجر الخليقة، قام قايين على أخيه هابيل وقتله حسداً؛ وأن أمنون بن داود بعد أن أذلَّ أخته ثامار واعتدى عليها، تحوَّلت محبته إلى بُغضة شديدة (٢صم ١٣: ١٥). والعائلة المتماسكة تنشقُّ وتنقسم إذا تبع أحد أفرادها الرب فيواجهونه بالعداء، وتصير مطاردته وقتله أمراً محتوماً لا تقف أمامه العواطف حاسبين أنهم بقتله يُقدِّمون خدمة لله (يو ١٦: ٢)، فنذكر قول الرب: **"وأعداء الإنسان أهل بيته"** (مي ١٧: ١٦؛ مت ١٠: ٣٦).

نخلُص إلى صدق قول الكتاب: **"... أنَّ تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته"**، و**"... كل يوم"** (تك ٤: ٨؛ ٦: ٥)، وأنَّ خلاصه لم يكن باجتهاده وجهاده، وإنما بمبادرة الله وبعمل دم المسيح، وأنَّ محبة الله والقريب – بمعناها الحقيقي – لن تكون إلاَّ بعمل نعمة الله، وأنَّ دوام **محبتنا لله** هو في التصاقنا بالمسيح عبادةً وجهاداً وتوبةً وطاعةً للكلمة ورفضاً لصوت العدو، كما أنَّ دوام **محبتنا للقريب** لن يكون إلاَّ بالخضوع لعمل الروح الذي يهب القوة على العطاء والخدمة، والقدرة على الغفران والتسامُح والاعتذار عن الخطأ.

■ عن الصداقة:

أفضل ما تتميَّز بـــه **الصداقة** أنها علاقة حُرَّة تماماً، يشترك الطرفان أو الأطراف في تأسيسها ورعايتها. وهي بذلك أعلى من المحبة العائلية الفطرية والتي فيها شيء من الذات. والعلاقة العائلية ترتقـــي إذا بلغـــت مرتبـــة الصداقة. فعندما يتحرَّر الزوجان وأفراد العائلة مـــن المصـــالح المشـــتركة، والاحتياج المتبادَل، والالتزامات القانونية، وينتقلون من الانتساب للاســـم والوراثة إلى برِّ الصداقة التي يهب فيها كل فرد نفسه للآخر، فهنـــا تبلـــغ المحبة غايتها.

وخارج حدود العائلة، قد تبدأ الصداقة كعلاقة بين زمـــــلاء دراســـة أو عمـــل أو جيرة أو نشاط اجتماعي. والنفوس الطيبة تجتذب الصـــداقة الـــتي تتجاوز الفوارق الاجتماعية واللون واللغة والعقيدة. وعلى العكس، فإنَّ الأنانية والانتهازية والرياء تُميت الصداقة. أما إذا أُنفقت العلاقـــة في الإيمـــان، فـــإنَّ الصداقة تتدعَّم جداً، لتصير محبة قلبية، وحائط صَدٍّ منيعاً ضـــــد الضـــعف والذات، وتتوهَّج بـــالعطاء والتسامُح والاحتمال. والكتاب يمتدح مثل هـــذه العلاقات فيقول: **"يوجد مُحب ألزق من الأخ"** (أم ١٨: ٢٤)، أي أنه يمكن لمحبة بين أصدقاء أن تفوق العلاقة العائلية بين إخوة.

والكتاب يُسجِّل لنا الصداقة الفريدة التي كانت بين **داود ويوناثـــان** ابـــن الملك شاول، رغم العداء الذي كان يُكِنُّه الملك لداود، وأيضاً المحبة التي جمعت بين **الرب وعائلة لعازر وأُختيه مرثا ومريم**. وما أسهل أن تنمو الصداقة بـــين الخُدَّام والكارزين حيث المعرفة بكلمة الله والخدمة المشتركة تُدعم هذه العلاقة وتُديمها إلى النهاية. وكان **القديس بولس** في رسائله يبعث بسلامه وتحيتـــه إلى

إخوته وأبنائه الخُدَّام الذين ارتبط معهم بمحبة وثيقة خلال الكرازة، وفي ختام رسالته إلى رومية يذكر بالاسم أكثر من خمسة وعشرين أخاً وأُختاً ويدعوهم: **"حبيبي في الرب"، "حبيبي"، "المحبوبة"**. كما يُشيد **الرسول بطرس** أيضاً بالرسول بولس ويدعوه: **"أخونا الحبيب"** (٢بط ٣: ١٥).

وفي مَثَل **صديق نصف الليل** (لو ١١: ٥-٨)، ذَكَر الرب كيف يقى الصديق لصديقه سنداً ساعة الاحتياج، وكيف يقرع بابه في منتصف الليل ويطلب بغير حرج. كما أنَّ الصديق القادم من السَّفَر لم يتردَّد أن يترل عند صديقه في هذه الساعة المتأخِّرة والذي قَبِلَ ضيفه بغير تحفُّظ. فالصداقة الحقيقية عطاء ومسئولية وتضحية، ويُختَبَر صدقها وقت الشدائد، ولا يوهنها الزمن ولا البُعْد أو الغياب أو المرض ولا حتى الموت (نش ٨: ٦).

■ الحدود المتسعة للمحبة:

تُبهرنا هنا وهناك مشاهد عظيمة لمحبة الكثيرين للقريب والغريب والعدو، فيُضيئون من حولنا ويُعادلون تيار البغضة الذي أُخضِع له الملايين والذي يجتاح بلاداً بأكملها خاصة في شرقنا الأوسط.

+ وفي المقام الأول نضع هؤلاء الذين يتبرعون ببعض أعضائهم لإنقاذ حياة الآخرين، الذين قد لا يعرفونهم، كمَن يتبرَّع بدمه أو كليته أو فص كبده، أو الذين يوصون بكل أعضائهم بعد وفاتهم لمَن يحتاج فتمتد حياتهم في آخرين يدينون لهم بحياتهم.

+ وكثيرون من أغنى أغنياء العالم مَن استطاعوا التحرُّر من سيطرة المال والترفُّع عن عبادته والتخفف من عبئه، والخروج من الاهتمام بالذات ليس

فقط إلى مَن حولهم، وإنما إلى الملايين الغرباء الذين أذلَّهم عار الفقر والجهل والمرض في القارات البعيدة، واتَّسعت دائرة عطائهم ومحبتهم من التبرُّع التقليدي لجهات الخير، إلى آفاقٍ جديدة في خدمة البشر(٦). فمن مكافحة المرض بتمويل مراكز بحوث الدواء واللقاحات والأمصال المضادة للأوبئة، ودعم بحوث زيادة المحاصيل لتوفير الغذاء، إلى محاصرة الجهل بدَعْم مؤسَّسات التعليم، وحماية الأطفال من التشرُّد والاستغلال والجريمة، إلى التطوُّع بالذهاب إلى مناطق الكوارث لتقديم العون للضحايا(٧)، أو تبنِّي الأطفال الذين فقدوا عوائلهم، ورعاية اللاجئين والمُشرَّدين بسبب الاضطرابات العِرْقية والدينية والسياسية في أنحاء الأرض.

+ وقد لا يبدو الالتزام الإيماني المسيحي واضحاً في هذه الأمثلة، ولكنها ليست عنه ببعيدة. فمبادئ المسيح دخلت إلى العالم وصارت جزءاً من ثقافة العالم المتقدِّم، والروح القدس يُحرِّك مشاعر الحب حتى في غير المتديِّنين الذين يُمارسون مسيحيتهم (بمقدار الإيمان الذي فيهم – رو ١٢: ٣) بنهج عملي، بحسب دعوة المسيح لخدمة إخوته الأصاغر مِمَّن يُعانون في العالم (مت ٢٥: ٣٦، ٤٠)، وعطاؤهم السخي هذا ومحبتهم الممتدَّة لإخوتهم خارج الحدود، ليست منسية قدَّام الله العادل (عب ٦: ٣).

(٦) رغم البلايين التي رصدها أغنى أغنياء العالم **"بيل جيتس"** (٨٢ بليون دولار) و**"وارين بافت"** (٦٧ بليون دولار) لمكافحة الملاريا والسُّل والإيدز وشلل الأطفال والإيبولا، فقد تعهَّدا مع أكثر من ٥٠ من أغنياء الولايات المتحدة بالتبرُّع بنصف ثرواتهم على الأقل لخدمة الإنسان.

(٧) مثل **"الصليب الأحمر"** ومنظمة **"أطباء بلا حدود"**.

علينا أن نُفعِّل **محبتنا لله والقريب** بالتوقُّف، بمعونة النعمة، عن الانحصار في الاهتمام بأنفسنا وعائلاتنا، والانتظام في **خدمة الآخرين**. هذا أمرٌ حتمي تنفيذاً لأمر السيِّد. وعلى المستوى الشخصي فلنختبر أنَّ محبتنا تزداد بعمل الروح القدس (في١: ٩؛ ١تس٣: ١٢)، وأنها قادرة أن تُعطي وتتعب وتُسامح (أف٤: ٣٢؛ كو٣: ١٣)، ولا تسمح بالتعصُّب أو كراهية العدو وتترك أمره لضابط الكل.

نعم **"لا الحرف بل الروح"** (٢كو٣: ٦).

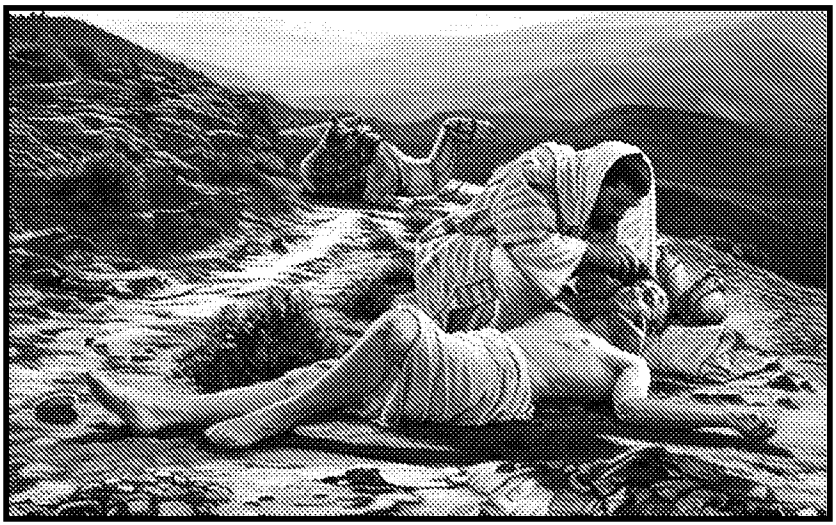

"ولكن سامريا مسافرا جاء إليه، ولما رآه تحنن، فتقدم وضمد جراحاته، وصب عليها زيتا وخمرا، وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق واعتنى به"

(لو١٠: ٣٣، ٣٤) (انظر ص ٨٦)

"أحبوا أعداءكم"

وصية **محبة الأعداء** هي موضوع فصل إنجيل قدَّاس الأحد الرابع من شهر بؤونة (لو٦: ٢٧-٣٨) (الذي يأتي في الأيام الأخيرة من صوم الرسل). وهذا الفصل هو جزء من **الموعظة على الجبل** التي أوردها القديس متى كخطاب متصل في أصحاحات ثلاثة متتالية من بشارته (٥، ٦، ٧)، ولكن القديس لوقا يذكرها مُجزَّأة بترتيب مختلف وبنصٍّ لا يتطابق تماماً، ضمن الأصحاحات السادس والحادي عشر إلى الرابع عشر. ووصية **محبة الأعداء** تقدم مفهوماً مُغايراً تماماً لِمَا ساد حياة البشر قبل مجيء المسيح(١).

---

(١) اختيار فصل هذا الإنجيل خلال صوم الرسل، الذي هو صوم الكرازة والخدمة، يبدو مناسباً تماماً. فالعمل الكرازي لم يكن يوماً بين أصدقاء موالين، وإنما في أكثر الأحيان بين مقاومين ومعادين، وفي أفضل الأحوال بين محايدين أو غير مبالين. فالخادم أو المؤمن الكارز يدخل إلى قلب المخدومين بهذا الشعار: «**أحبُّوا أعداءكم**»، حيث تغلب محبته العداء والبُغضة واللعنة والإساءة. وهكذا إذ يؤمنون ينالون القوة التي يتحوَّلون بها إلى محبة أعدائهم هم أيضاً، وهكذا.

وإذا عُدنا إلى ما قبل **"الوصايا العشر"**، فقد عاش الناس قروناً تحت إرشاد ناموس طبيعي قد أودعه الله فيهم هو **الضمير**. ولكن الطبع الشرير للإنسان (تك ٨: ٢١) كان أقوى من ضميره، وهو لم يمنعه من القتل (قايين وموسى)، والحقد والانتقام (عيسو)، والحسد والكذب (إخوة يوسف)، وسائر القائمة المظلمة للضعف الإنساني.

على أنه **بناموس العهد القديم** – الذي أحدث نقلة نوعية في حياة البشر– وُهب الإنسان دستوراً قوامه **العدل** يؤازر عمل الضمير الذي لم يَكْفِ وحده لقهر الكبرياء والأنانية والمحاباة والميل إلى الشر. ولتحقيق العدل كانت عقوبة المعتدي رادعاً عن البدء بالتجاوز، كما أنها أتاحت القصاص: **فالعين بالعين والسن بالسنِّ** (خر ٢١: ٢٤؛ مت ٥: ٣٨). ولكن الناموس، وإن حقَّق العدل، إلاَّ أنه لم يستأصل العداوة، ولم يَشفِ الإنسان من شرِّه.

على أيِّ حال، ولفترة امتدَّت خمسة عشر قرناً، كان **الناموس** خطوة للأمام ووسيلة لضبط العلاقات بين البشر بقوة القانون، وهو قد هيَّأ الإنسان للرحلة الأخيرة حين استُعلِن **ناموس المسيح وعهد الله الجديد** (إر ٣١: ٣١-٣٤؛ عب ٨: ١٠-١٢) الذي حمل في ثناياه **قوة النعمة والحق** (يو ١: ١٧) وعمل **الخلاص بالدم**، وهو الذي بالإيمان يلد الإنسان ثانية (١بط ١: ٢٣) من **الماء والروح** (يو ٣: ٥)، فيخلقه جديداً في المسيح يسوع (٢كو ٥: ١٧)، ويُصيِّره ابناً لله (١يو ٣: ١).

و**ناموس المسيح** أكمل **الناموس القديم** (مت ٥: ١٧) بالانتقال إلى **شريعة المحبة**، واتسع معنى **"القريب"** في الوصية: من الدائرة الضيقة

(الأقرباء بالجسد أو الشركاء في الدين أو الوطن أو الجماعة أو الحزب) ليضمَّ كل البشر ولا يستبعد منهم أحداً حتى العدو (لا ١٩: ١٨؛ مت ١٩: ١٩؛ ٢٢: ٣٩؛ مر ١٢: ٣١؛ لو ١٠: ٢٥-٣٧؛ رو ١٣: ٩؛ غل ٥: ١٤؛ يع ٢: ٨).

والمسيح ابن الله الظاهر في الجسد، قدَّم وصايا جديدة غير مسبوقة. وهي لم تكن وهْماً جميلاً أو كلاماً سامياً مكانه متاحف التاريخ، وإنما قالها ومعها قوة تنفيذها لأنَّ إمكانيات الإنسان الذاتية تقصر عن استيعابها فضلاً عن ممارستها. فالمسيح يحيا فينا (غل ٢: ٢٠)، وهو الذي يحوِّل كلمته فينا إلى حياة وسلوك كنعمة مجانية.

■ "أحبُّوا أعداءكم":

هذه الوصية تحتوي كل ما يليها. فالعداء والبغضة يفرزان اللعنة والإساءة والعدوان بكل صوره.

+ والمسيح عندما أَخَذَ جسد الإنسان، جعل من نفسه القدوة والمثال للإنسان الجديد في مسيرته، حسب الإنجيل: **"تاركاً لنا مثالاً، لكي تتَّبعوا خطواته"** (١بط ٢: ٢١)، وهو الذي قال: **"تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم"** (مت ١١: ٢٩).

والرب هو الذي بيَّن محبته لنا بأنْ **"وضع نفسه لأجلنا"** (١يو ٣: ١٦) **"ونحن بعد خطاة"**، كما أننا **"ونحن أعداء قد صولحنا مع الله** (الآب) **بموت ابنه** (يسوع المسيح)" (رو ٥: ٨، ١٠). والكتاب يُخاطبنا: **"أنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد**

صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قدِّيسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه" (كو ١: ٢١،٢٢).

نعم **"كُنَّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً"** (أف ٢: ٣). والمسيح أحب **"إلى المنتهى"** (يو ١٣: ١) مَن صاروا أحبَّاءه ومَن عادوه وصلبوه وسأل الغفران لهم **"وهو مات لأجل الجميع"** (٢كو ٥: ١٥).

+ إذاً، ففيما نجاهد لطاعة الوصية، فنحن نُثبِّت عيوننا على شخص الرب ونسير على هَدْي خطواته. وكما صار يسوع شبيهاً بنا بالجسد (رو ٨: ٣؛ في ٢: ٧؛ عب ٢: ١٧)، فقد وهبنا الآب بالنعمة أن نكون نحن أيضاً مُشابهين صورة ابنه في بهائها **"ليكون هو بِكْراً بين إخوة كثيرين"** (رو ٨: ٢٩). وفي المسيح نحن نسلك في كل فضيلة (٢بط١: ٥)، ونعيش بالتقوى (٢تي ٣: ١٢)، ونتألَّم معه لكي في النهاية نتمجَّد معه (رو ٨: ١٧؛ ٢كو ٤: ١٧)، و**"نكون مثله"** (١يو ٣: ٢)، ونستوطن عنده في ملكوته (٢كو ٥: ٨).

+ وارتباط وصية **"محبة القريب"** بالوصية الأولى والعُظمى (مت٢٢: ٣٨)، التي هي محبة الله من كل القلب والنفس والفكر والقدرة، والتي تُقدِّس المؤمن؛ فهي مِن ثَمَّ تُهيِّئه لمحبة الآخر تلقائياً، لا لحساب الذات، وإنما لحساب الله الذي نقله من الظلمة إلى النور. **هكذا تصير المحبة فعلاً إرادياً بغير جهد أو افتعال، ولكن بكل رضًى وبغير تراجُع**، حتى أنه يصير طبيعياً أن يُطالبنا القديس بطرس أن تكون محبتنا **"من قلب طاهر بشدَّة"** (١بط ١: ٢٢).

+ والمسيح في دعوته **لمحبة الأعداء** يكشف عن قوة المحبة وأنها قادرة على غلبة الكراهية، بل وسَحْق الخطية والموت. ومكتوب عنها: **"المحبة قوية كالموت... مياه كثيرة لا تستطيع أن تُطفئ المحبة"** (نش ٨: ٦،٧).

فالكراهية سلبية: هي مجرد الاستجابة لعُقَد الخوف والضعف ورَفْض الآخر والخضوع لأدنى النوازع في أغوار النفس المظلمة المتغرِّبة عن الله، وهي تأكل صاحبها كما يُذيب الحامض الإناء الذي يحتويه. ومُعلِّمنا يوحنا يُقْرِن البغضة بالظلمة والموت وقتل النفس (١يو ١: ٩،١١؛ ٣: ١٤،١٥).

ولكن **المحبة إيجابية:** تُعطي وتبذل حتى الموت، تعفو وتُسامح وتغفر. وهي **"... تتأنَّى وتَرْفُق. المحبة لا تحسد. المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ، ولا تُقبِّح، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتدُّ، ولا تظُنُّ السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق. وتحتمل كل شيء، وتُصدِّق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء"**، وهي تظل قائمة صامدة منتصرة و**"لا تسقط أبداً"** (١كو ١٣: ٤-٨). والقديس يوحنا يُقرنها بالنور والحياة الأبدية (١يو ١: ١٠؛ ٣: ١٤).

+ **محبة الأعداء** علامة شاهدة على صدق الإيمان والحياة في المسيح وطاعة الوصية ومؤازرة النعمة، وهي وسيلتنا التي لا تخيب لغلبة البغضة ودحرها.

مقابلة العداء بالعداء تُشعل الكراهية وتزيدها لهيباً، والكل يدور في حلقة مُفرغة لا تنتهي، وجميعهم ضحايا خاسرون. دخول المحبة في هذا الأتون كإلقاء الماء على النار فتنطفئ والكل رابحون، فقد تمَّ إنقاذ العدو من نفسه، والمُحِب ربح انتصار محبته ونجاته هو أيضاً من السقوط في البُغضة، فربح نفسه: **"لا يغلبنَّك الشر، بل اغلب الشر بالخير"** (رو ١٢: ٢١).

■ "أَحسِنوا إلى مُبغضيكم":

هذا تفصيل للوصية السابقة. فنحن **"لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق"** (١يو ٣: ١٨). فلا يكفي ألاَّ نُقابل البغضة بالبغضة. فالإيجابية المسيحية تقتضي مِمَّن غيَّرته نعمة الله أن يُقابل البغضة الصامتة أو الفاعلة بالإحسان من رصيد لا ينفد أبداً في قلب تابعي المسيح، سواء بالكلمة أو العمل الطيِّب، خاصة إذا كان العدو يجتاز ضيقة ما، فهنا الوقت المُحتَّم لا للتشفِّي، وإنما لتقديم المعونة المُخْلِصة واستعلان المحبة التي يمكن أن توقِظ النوازع الطيبة التي طمرتها الكراهية في الأعماق.

+ **الإحسان** وحده هو نوع **"الانتقام"** المسموح لنا به إزاء مَن يُبغضنا: **"إنْ جاع عدوُّك فأَطْعِمْهُ. وإنْ عَطِشَ فاسْقِهِ"** (أم ٢٥: ٢١؛ رو ١٢: ٢٠). الانتقام الرادع لا يصح أن يشغلني، فهو ليس مهمتي ويتجاوز دوري في الحياة، لأنه عمل الله واختصاصه: **"لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحبَّاء، بل أَعطوا مكاناً للغضب** (أي غضب الله وأيضاً حكمته وعدله ورحمته)، **لأنه مكتوب: "لي النقمة أنا أُجازي يقول الربُّ"** (تث ٣٢: ٣٥؛ رو ١٢: ١٩).

■ "باركوا لاعنيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم":

الكراهية هنا ليست مجرد مشاعر سلبية كالمقاطعة أو إشاحة الوجه أو عدم التحية والسلام، وإنما هي المبادرة بالإساءة بالكلام أو العمل المضاد. والقديس بولس يذكر الوصية هكذا: **"باركوا على الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا"** (رو ١٢: ١٤).

+ **اللعنة** تكون بالكلام، والرد عليها يكون بطلب **البركة؛ والإساءة** يمكن أن تكون بالكلام أو الأفعال التي تُعبِّر عن الإهانة أو الاحتقار، والرد هو **الصلاة** من أجل المُسيء. والصلاة من أجل المُسيء، كطلب البركة، هدفها تغيير اتجاه قلبه وفكره وإيقاف تيار عدائه باستدعاء الروح للتدخُّل كي يراجع نفسه ويثوب إلى رشده، أو ربما اهتدى إلى الحق وتتم المصالحة.

+ فإذا كانت الإساءة اعتداءً بدنيّاً بأيِّ نوع ("**مَن ضربك على خدِّك**") فلا سماح للردِّ بمثله، لأن النتيجة هي اتساع دائرة العنف مما يُعطي المعتدي مُبرِّراً يجعله راضياً عن فعله. أما الاحتمال وعَرض الخد الآخر، فإنه يحرم المعتدي من تبرير اعتدائه، وربما يخجله فينفتح باب للمصالحة.

ورغم صعوبة مثل هذه المواقف وصعوبة الوصية التي تتطلَّب نفوساً يحيا المسيح فيها فعلاً، وترى في طاعة الوصية أمراً مقضياً به، فإنَّ المسيح شريكنا في الضيقة قد سبق وجاز هذا الاختبار من أجلنا: "والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به **وهم يجلدونه**، وغَطَّوْه وكانوا **يضربون وجهه**" (لو ٢٢: ٦٣،٦٤)، "ولما قال هذا **لطم يسوع** واحد من الخدم" (يو ١٨: ٢٢)، حتى إذا حملنا نيره علينا يكون هَيِّناً وحِمْله خفيفاً (مت ١١: ٢٩،٣٠).

وإذا كانت الإساءة خطفاً أو سرقة، فالرب هنا يوصي بالتنازل والقبول، فربما تجلب المقاومة ضرراً أشد(٢).

---

(٢) على أن اللجوء إلى القانون في الدولة الحديثة لا يُعتبر تجاوزاً للوصية، والكتاب يُشير أنَّ «**السلاطين الكائنة هي مُرتَّبة من الله**»، وأن الحاكم «**هو خادم الله، مُنتقم للغضب من الذي يفعل الشر**» (رو ١٣: ١،٤). كما أن الخضوع في كل الأحوال للمعتدي والمُسيء وتركه يفلت من القانون، يُشجِّعه على الإمعان في انحرافه بما يعود بالضرر على الآخرين، وربما يقوده هو في النهاية إلى الهلاك. ولا شكَّ أن في عقوبة مَن يتجاوز القانون إنقاذاً له وإعادته إلى جادة الصواب.

■ محبة الأعداء هي الفارق:

يواصل الرب خطابه للمؤمنين ليكشف عن ماهية **المحبة الحقيقية**. إنها ليست محبة الوالدين الغريزية لأولادهما، فهذه محبة ومسئولية أودعها الله فيهما لرعاية الصغار إلى أن يشبُّوا عن الطوق (وهي ليست قاصرة على الإنسان، ولكنها أيضاً في الحيوانات الأليفة والمتوحشة على السواء). كما أنها ليست أن نحب من يحبوننا من الأقارب(٣) والأصدقاء، فهذا اللون من المحبة لا فضل لأحد فيه: **"وإنْ أحببتم الذين يُحبُّونكم، فأيُّ فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يُحبُّون الذين يُحبُّونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم، فأيُّ فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يفعلون هكذا"** (لو ٦: ٣٢،٣٣).

+ المسيح لا يعوِّل كثيراً على المعاملات المتكافئة المتبادَلة ولا يرى فيها تمييزاً لطرف على الآخر: **"وإنْ أقرضتم الذين ترجون أن تستردُّوا منهم، فأيُّ فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يُقرضون الخطاة لكي يستردُّوا منهم المِثْل"** (لو ٦: ٣٤).

+ المسيح يدعو إلى أن نُعطي ولا ننتظر أن نأخذ شيئاً إلاَّ من الله الغني: **"أَعطوا تُعْطَوْا، كيلاً جيِّداً مُلبَّداً مهزوزاً فائضاً يُعْطُون في أحضانكم"** (لو ٦: ٣٨). من هنا تستمد **محبة الأعداء** قيمتها. فهي محبة تُعطي ولا تأخذ، وهي المحبة التي تنفرد بها المسيحية وحدها، وهدفها إنقاذ العدو من بغضته، وفي ممارستها نحن نقتدي بصاحب الوصية الذي بذل حياته من

---

(٣) ولكن حتى هذه المحبة في مجال العائلة ليست قانوناً. فالجرائم بين أفراد العائلة الواحدة تمتلئ بها صفحات الصحف، والرب أشار إلى أنه في بعض الأحيان يكون **"أعداء الإنسان أهل بيته"** (مي ٧: ٦؛ مت ١٠: ٣٦) الذين يُقاومون قبوله الإيمان.

أجل أعدائه. والرب جعل تنفيذنا لهذه الوصايا الشهادة أننا أبناء الله: **"بل أحبُّوا أعداءكم، وأَحسنوا وأقرضوا وأنتم لا تَرجُون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العَليِّ"** (لو ٦: ٣٥).

❄ ❄ ❄

وكما بدأ المسيح بنفسه والتزم بما أوصانا به، فهو يُقدِّم قانوناً ذهبياً مضمون الفاعلية ويصلح خاتمة للوصايا، هو: **"كما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا** (لأن هذا هو الناموس والأنبياء)" (مت ٧: ١٢؛ لو ٦: ٣١)، وهو القانون الذي ينبغي أن يتبناه كل كارز وخادم ومُعلِّم وكل أب وأُم وأي مؤمن، بأن يُبادر هو أولاً أن يُحِبَّ ويُعطي ويُنفِّذ الوصية وهو لا ينتظر شيئاً، فهو الطريق الأقصر لاجتذاب الآخر إلى الإيمان، أو للتأثير في حياة الصغار في مجالات التربية والتعليم. والقديس بولس أوصى تلميذه تيموثاوس: **"كُن قُدوة للمؤمنين: في الكلام، في التصرُّف، في المحبة، في الروح، في الإيمان، في الطهارة"** (١تي ٤: ١٢)، وأيضاً تلميذه تيطس: **"مُقدِّماً نفسك في كل شيء قُدوة للأعمال الحسنة"** (تي ٢: ١٧).

خلاصة القول، أنه لكي نُنفِّذ وصايا المسيح بما فيها **"أحبُّوا أعداءكم"**، فيجب أن نكون مسيحيين بالروح والحق.

"يبغض نفسه"

من المفارقات التي تستدعي التوقُّف عندها لحُسن فهمها، أنَّ الله وهو المحبة الكلِّية ومنبع كل حُب (١يو ٤: ٧،٨،١٦)، بينما يوصي بمحبة القريب كالنفس؛ يوصي في مواقف أخرى بضرورة أن يُبغض الإنسان نفسه، بل وأقاربه، إنْ أراد أن يكون له تلميذاً؛ بل إنه أشار إلى أنَّ في محبة النفس، هلاكها؛ وفي بغضتها، حِفظها إلى حياةٍ أبدية.

كيف يُطالبنا الرب المُحب أن نُبغض أنفسنا، وأنَّ في بُغضة النفس يكون خلاصها؟ أليس من الطبيعي أن يحب الإنسان نفسه ويرعاها؟ **فكيف أحب نفسي وأُبغضها في نفس الوقت؟**

هذا المقال يقصد أن يُجلي هذه المُفارقة التي يغمض فهمها على الكثيرين، ويكشف عن الحق الذي تحمله الوصية، وعن توافُق كلمة الله وعصمتها بالضرورة من التناقُض حتى وإنْ بدا ظاهرياً!

■ وصايا محبة القريب:

نُشير هنا إلى بعض هذه الوصايا الرئيسية، وسيأتي غيرها في السياق:

"تُحب قريبك كنفسك" (لا ١٩: ١٨؛ مت ١٩: ١٩)؛ **"هذه** (وصية محبة الله) **هي الوصية الأولى والعُظمى، والثانية مثلها** (عُظمى في نفس درجتها): **تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلَّق الناموس كله والأنبياء"** (مت ٢٢: ٣٨-٤٠)؛ **"المحبة لا تصنع شرّاً للقريب. فالمحبة هي تكميل الناموس"** (رو ١٣: ١٠)؛ **"لأنَّ كل الناموس في كلمة واحدة يُكْمَلُ: "تُحِبُّ قريبك كنفسك"** (لأن محبة القريب هي نابعة من محبتنا لله)" (غل ٥: ١٤).

واضح أنَّ الوصية تحضُّ المؤمن على المحبة والمعاملة الطيِّبة للآخر: القريب والغريب (لا ١٩: ٣٤) (وحتى العدو - مت ٥: ٤٤) كما يحب نفسه، أو كأنه يحب نفسه.

■ وصايا بُغضة النفس والأقارب:

نُضيف هنا الوصايا الأخرى التي تستكمل الرؤية الإلهية لمعنى محبة الإنسان لنفسه:

"إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فليُنكر نفسه ويحمل صليبه (كل يوم) **ويتبعني، فإنَّ مَن أراد أن يُخلِّص نفسه يُهلكها، ومَن يُهلك نفسه من أجلي يجدها** (يُخلِّصها، يُحييها). **لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلَّه وخسر نفسه** (أهلك نفسه)؟ **أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟"** (مت ١٦: ٢٤-٢٦؛ مر ٨: ٣٤-٣٧؛ لو ٩: ٢٣-٢٥؛ ١٧: ٣٣)؛ **"إنْ كان أحدٌ يأتي إليَّ ولا يُبغِض أباه وأُمَّه وامرأته وأولاده**

وإخوتـــه وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فـــلا يقدر أن يكون لي تلميـــذاً" (لو ١٤: ٢٦).

والآن، كيف تلتقي محبة النفس مـــع بُغضتها كشرطٍ لخلاصها وحياتها الأبدية؟ كيف تتكامل الوصيتان؟

■ "تحب... كنفسك":

أي **"كما تحب نفسك"**. فمِن المنطقي أن يحب الإنسان نفسه، وهـــو المخلوق على صورة الله (تك ١: ٢٦)، وأن يقبلها كهبة عُظمى مـــن الله؛ بالطبع عـــلى أن يحب الآخريـــن كمـــا يحب نفســـه، وإلاَّ صـــــارت محبته لنفسه انكفاءً على الـــذات، وانحصاراً فيها.

ومحبـــة النفس تفترض أن يقبـــل الشخص إمكاناتها، كثرت أم قلَّت، بالشكر لله، دون زهو أو صِغَر نفس وعُقَد ضارة، لا يتمرَّد على بســـاطة الحـــال، ولكـــن يستثمر مواهب الله المُعطاة لـــه مُتقدِّماً بها إلى الأفضل.

وهو مقتنعٌ بنفسه، لا يتطلَّع إلى ما للآخرين، لا يضيق بهم، ولا يتعالى على مَن ليس لهم بل يخدمهم، واثقاً في عدل الله وسخاء عطائـــه وهباتـــه يفيض بها على الجميع، وكلٌّ له وزناته التي يتفرَّد بها، كفـــيض ســـخائه بالجمال والجلال على الطبيعة الجامدة والحيَّة من حولنا: أفلاكـــاً وجبـــالاً ووديانـاً وبحاراً وأنهاراً ونباتاً وحيواناً، يتمتَّعون معنا بعناية الله الفائقة.

فقبول النفس كما هي، والرضا بهـــا وحمايتها والعنايـــة بها، وحفظها بـــلا عيب، هـــو علامـــة النُّضـــج الإنســـاني. بينمـــــا احتقارهـــــا

وكـــراهيتها وإهمالها، والضيق بها إلى حدِّ محاولة التخلُّص منها، أو إغراقها في هوَّة اللذَّة والإدمان واللهو والفراغ؛ هو علامـــة مـــرض واضـــطراب وانحراف عن قصد الله، يحتاج صاحبه إلى علاج وإنقاذ.

فحسناً قال الله للإنسان أن يحب قريبه كما يحب نفســـه، وأن يرتفـــع بمحبة الآخر إلى مرتبة محبة النفس، وهي الألصق بالإنسان.

+ وفي العلاقة بين الزوجين بالذات، أوجب الرســـول بـــولس علـــى الرجال: "**أن يُحِبُّوا نساءهم كأجسادهم** (أي كما يحبون أجســـادهم أو أنفسهم). **مَن يُحِبُّ امرأته يُحِبُّ نفسه. فإنه لم يُبغض أحدٌ جسده قـــط، بل يَقُوتُه ويُرَبِّيه، كما الربُّ** (يفعل) **أيضاً للكنيسة. لأننا أعضاء جسمه، مـــن لحمه ومن عظامه**" (أف ٥: ٢٨-٣٠).

ثم يستعيد القول الإلهي: "**من أجل هذا يترك الرجـــل أبـــاه وأُمَّـــه ويلتصق بامرأتـــه، ويكون الاثنان جسداً واحداً**" (تك ٢: ٢٤؛ مـــت ١٩: ٥؛ مر ١٠: ٨؛ أف ٥: ٣١).

فلم يتحفَّظ الرســـول أن يقـــول: "**يحبـــوا... كأجســـادهم**"، بـــل ويضيف: "**فإنـــه لم يُبغض أحدٌ جسده قط**". فالطبيعي أن يحبه، ويوفِّر له القُوت والكساء والسكن والعلاج، ويُربِّيـــه بالرياضـــة والتدريب، ويحميه من الأخطار، مُسلِّماً كل شيء في يد الله الحي: "**الذي يمنحنا كل شـــيء بغِنَى للتمتُّع**" (١تي ٦: ١٧).

كما أنَّ الرسول لم يقصد فقط أن يحب الرجل امرأته في جسدهما الواحد، كما كان يحب **جسده** قبل اتحاده بامرأته؛ وإنما أيضاً أن يحبها كما يحب **نفسه**. فالاتحاد صار **جسداً ونفساً**(١)، والنسل يرث صفاته من "**الجسد الواحد**"، نصفها من الأب ونصفها من الأُم، بحسب قوانين الوراثة التي صنعها الله، كما يرث أيضاً سلوكه وطِباعه من والديه اللذين وحَّدهما الروح في سرِّ الزيجة.

والقديس بطرس بدوره يكتب إلى المؤمنين في الشتات عن كيف يحبون حياتهم حقّاً: "**لأن مَن أراد أن يُحِبَّ الحياة ويرى أياماً صالحة، فَلْيَكْفُفْ لسانه عن الشرِّ وشفتيه أن تتكلَّما بالمكر. ليُعرِض عن الشرِّ ويصنع الخير، ليطلب السلام ويَجِدُّ في أَثَره. لأن عينَي الرب على الأبرار، وأُذنيه إلى طلبتهم، ولكن وجه الرب ضد فاعلي الشرِّ**" (١بط ٣: ١٠-١٢).

فالحياة هبة من الله وتستحق أن نحياها ونحبها لا أن نضيق بها، فهذا سلوكٌ مَرَضي. والسلوك بالقداسة، هو الذي يجعل الحياة مُبهجة وجديرة بأن تُحَبَّ، وبغير حضور الله فيها تصير الحياة عبئاً شديد الوطأة.

---

(١) **الجسد** هو الهيكل الظاهر الذي يحتوي النفس والروح، والذي سيموت ولكنه يتغيَّر في القيامة. **والنفس** هي الأنا الشخصية، الفكر، الغرائز، السلوك، المعاملات. **والروح** هي نسمة الحياة للجسد والنفس. وبحسب موقعها، فالنفس هي مُلتقى الجسد والروح. ويتوقَّف على **الإرادة** انحياز النفس إلى الجسد أو الروح. فإن مالت النفس ناحية الجسد تكون اهتماماتها أرضية، وإن كانت الإرادة مُقدَّسة تميل النفس ناحية الروح بما فيه خلاصها. وكلمة الله تُلهم المؤمن ألاَّ يستسلم لضعف الجسد، لأن "**الجسد... للرب، والرب للجسد**"، وأنَّ أجسادنا «**هي أعضاء المسيح**» التي لا يليق تلويثها بالخطايا، وهي "**هيكل للروح القدس**" الذي فينا (١كو ٦: ١٣،١٥،١٩).

■ "يُبغض نفسه... يُهلك نفسه":

على أنَّ محبة النفس "ليست مُطلقة"، ولابد لها من ضوابط، وإلاَّ أضرَّت بها. فمِن الخطأ الاستجابة لرغباتها السلبية (بخضوعها للجسد) ونزواتها وميولها الرديئة: كالنجاسة والشراهة والطمع والكذب وحب المال والانزلاق إلى المُكيِّفات والإدمان وسائر أمور الجسد الميِّتة، مهما بَدَت جذَّابة مُغرية ففي باطنها العذاب والألم، ومصيرها في النهاية إلى الهلاك(٢). ويصير التصدِّي لها ومقاومتها وكَبْح جماحها ومنعها من تحقيق ما تُريد، مهما كانت المصاعب، هو القرار الصحيح الذي هو لصالحها ومحبتها بالحقِّ.

بالضبط، كما أنَّ محبة الوالدين لأطفالهما لا تعني تدليلهم، والإذعان لكل ما يطلبون حتى لو كان ضارّاً بهم وهم لا يُدركون، وإلاَّ فإنهم كمَن يُدمِّر أولاده. والنفس كالطفل، ومحبتها لا تتضمَّن فقط الرعاية والاهتمام، ولكن أيضاً - في بعض الأحيان - الرفض واللوم والردع والتأديب. وهذا بالطبع ليس بدافع البُغضة أو الانتقام، وإنما هو لحمايتها من الرغبات المُفسدة: **"وشهوات كثيرة غبيَّة ومُضِرَّة، تُغَرِّق الناس في العَطَب والهلاك"** (١تي ٦: ٩). ومكتوبٌ عن الله المُحب أنه: **"يجرح ويعصب، يسحق ويداه تشفيان"** (أي ٥: ١٨)، **"لأن الذي يُحِبُّه الرب يؤدِّبه، ويجلد كلَّ ابن يقبله... فأيُّ ابنٍ لا يُؤدِّبه أبوه؟"** (عب ١٢: ٦،٧). والرب يقول: **"إني كلُّ مَن أُحبُّه أُوبِّخه وأُؤدِّبه"** (رؤ ٣: ١٩).

---

(٢) فالسُّكْر بالخمر وإدمان المخدرات يُدمِّران العقل والحياة، والشراهة تُهدِّد الصحة، والقمار خرابٌ والمِيسِرُ للأسرة، والاستجابة لشهوة الجسد وخيمة العواقب إلى حدِّ الموت. ومعروفةٌ قصص انزلاق الكبار على مستوى العالم في مستنقع الرذيلة، فتُكلِّلهم فضائحهم بالعار والازدراء، ويُلاحقهم الندم كل الحياة.

نستطيع، إذاً، أن نفهم الآية: **"مَن يُحِبُّ نفسه يُهلكها، ومَن يُبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياةٍ أبدية"** (يو ١٢: ٢٥). فمَن يستجيب لنزوات نفسه وضعفاتها، فهو يقودها إلى الهلاك؛ أما العاقل الذي **"يُنكر نفسه"** ويصدُّ رغبات جسده – حتى وإن بَدَا الأمر كمَن يُبغض نفسه – فهو في واقع الأمر، يُنقذ نفسه من ثمار الخطية المُرَّة و**"يحفظها إلى حياةٍ أبدية"**. فهذه هي المحبة الحقيقية للنفس، بحمايتها من كل ما يُهدِّد شركتها مع الله(٣).

+ وفي أوقات الاضطهاد قد تدفعنا محبتنا غير السويَّة للنفس إلى إنكار تبعية المُخلِّص، والهروب من حَمْل الصليب في الساعات المصيرية. هنا تصير محبة النفس والفرح بإنقاذها، هو سبب هلاكها الأبدي، ويَصدق هنا أمامنا القول الإلهي: **"مَن أراد أن يُخلِّص نفسه** (أي يعفيها من تبعات السير وراء المُخلِّص) **يُهلكها. ومَن يُهلك نفسه** (أي يقبل بفرح الألم والاضطهاد من أجل إيمانه بالمسيح) **من أجلي (ومن أجل الإنجيل) يجدها (فهو يُخلِّصها)** (أي يُنقذها من الموت الأبدي، ويحفظ لها نصيبها في الملكوت)" (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٤).

وقد سبق الرب وأوضح أنَّ تبعيته دونها المصاعب، وأمامها ينقسم الناس فريقين: مَن يقبل ويؤمن، ومَن يرفض ويُقاوم؛ وسيفٌ مؤلم، وأحياناً دامٍ، يفصل بين الفريقين. بل يأتي وقت يصير فيه **"أعداء الإنسان أهل بيته"**(٤) (مت ١٠: ٣٤-٣٦؛ لو ١٢: ٥١). وسيكون أمام المؤمن أن يُقرِّر،

---

(٣) وأمامنا نماذج الشهداء، من استفانوس إلى آخر شهيد في أيامنا، الذين لم يُحبُّوا حياتهم حتى الموت (رؤ ١٢: ١١). وكل المُضطهَدين من مسيحيي الموصل العراقية الذين فضَّلوا أن يُهجَّروا من بيوتهم بلا شيء إلى المجهول، ولا يتخلَّوا عن اسم المسيح الذي دُعِيَ عليهم؛ إلى إخوتنا في الصعيد وأنحاء أفريقيا وآسيا الذين يحتملون القتل والسَّحْل والطرد والاختطاف وحرق الكنائس والبيوت من أجل الإيمان.

(٤) وبالطبع إذا كان الله يُوصي بمحبة الأعداء (مت ٥: ٤٤؛ لو ٦: ٢٧)، فالمؤمنون لن يُعادوا أهل بيتهم المُقاومين؛ بل سيظلُّون على محبتهم لهم، مُصلِّين من أجلهم، حتى ينكشف الحق لهم أيضاً.

إمَّا أنه لله أو أنه لأهله. ورغم الوصية بإكرام الوالدين (خر ٢٠: ١٢؛ تث ٥: ١٦؛ مت ١٥: ٤؛ ١٩: ١٩؛ مر ٧: ١٠؛ ١٠: ١٩؛ لو ١٨: ٢٠؛ أف ٦: ٢)، وطاعتهم في الرب (أف ٦: ١؛ ٢كو ٣: ٢٠)؛ فإنَّ الرب وضع أمام المؤمن وصية مُقابلة، عندما يُقاوم الوالدان إيمان أولادهما (والعكس عندما تصير محبة الأولاد هي العائق أمام إيمان الوالدين): **"مَن أحبَّ أباً أو أُمّاً أكثر مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقُّني"** (مت ١٠: ٣٧)، **"إنْ كان أحدٌ يأتي إليَّ ولا يُبغض أباه وأُمَّه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً"** (لو ١٤: ٢٦).

فمحبتنا لله هي التي تهبنا أن نُحبَّ الوالدين والأهل وسائر الناس، كما أن محبتنا للإخوة هي دلالة محبتنا لله: «**مَن يُحب الله يُحب أخاه أيضاً**» (١يو ٤: ٢١)، كما أنَّ عجزنا عن محبة مَن حولنا، تشي بأننا لا نحب الله.

وإنْ اضطربت علاقتنا بالله، انعكس ذلك على علاقتنا بالكون كله. وعندما يجعل الله تبعيته هي الأساس، وحَمْل الصليب هو الشرط؛ يصير وقوفنا أمام مَن يُعرقل مسيرتنا وراء المُخلِّص، نوعاً من البُغضة التي تُحرِّرنا من قيود الانحياز للذات، والروابط الجسدية التي تعوق إيماننا: **"ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس"** (أع ٥: ٢٩).

❄ ❄ ❄

هكذا تلتقي معاني الآية: **"مَن يحب نفسه"** (دون تحفُّظ، ويعمل دائماً على إرضائها بما يؤذيها دون أن يدري)؛ فهو في واقع الأمر **"يُهلكها"** ويحرمها من النصيب الأبدي. أما **"مَن يُبغض نفسه في هذا العالم"** (أي الذي يحبها "بعقل"،

فلا يستجيب لرغباتها وشهواتها الجسدية، فيبدو حسب الظاهر أنه يُبغضها)؛ فهو **"يحفظها إلى حياةٍ أبدية"** (يو ١٢: ٢٥)، الذي هو غاية الخلاص.

فالذي يبدو بالتناقُض كأنه بُغضة، هو في حقيقة الأمر الوجه الآخر الجاد المُخلِص للمحبة الذي يحفظها من الانهيار. فالمحبة مثل الحرية ليست مُطلقة، وإلاَّ فقدت معناها. وبَتْر العضو الفاسد الذي يُهدِّد حياة الجسد، في جراحة مؤلمة، ليس هو من قبيل القسوة كما يبدو للجاهل؛ ولكنه عملية إنقاذ تستحق الشكر.

فلْنعرفْ كيف نحب أنفسنا "في الرب"!

"إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه (كل يوم) ويتبعني" (مت١٦: ٢٤، مر٨: ٣٤، لو٩: ٢٣) (انظر ص ١٠٣)

إلى العمق

■ عن الكم والكيف

عن الكم والكيف

يُقصَد "**بالكَمِّ**" حرفياً: العدد والكمية والحجم، ولكن يمكن أن يتسع المعنى ليشمل: الشكل والظاهر والسطح والخارج والحرف والجسد، وكل ما يرى. ويُقصَد "**بالكَيْف**" حرفياً: النوع والمستوى، ولكن يمكن أن يمتدَّ المعنى إلى الباطن والجوهر والروح والقلب والعمق والخفاء والداخل والموضوع والمُحْتَوَى والمضمون، وما لا يرى.

وبصورة عامة، فإنَّ التعليم الكتابي لا يعوِّل كثيراً على "**الكَمِّ**" وما يعنيه، ويُنبهنا ألاَّ ننشغل بالجسديات وظاهر الأمور، وألاَّ ننخدع بالشكل، وألاَّ نقف عند حدود الحرف **وما يُرَى**، ويؤكِّد في المقام الأول على "**الكيف**" والباطن والقيمة، وأن نهتم بالروحيات والأمور **التي لا تُرَى** لأنها أبدية (٢كو ٤: ١٨).

■ الله هو المُعلِّم والقدوة:

والله هو قدوتنا التي نتبعها في النظر إلى الأمور:

+ فلما أرسل الله **النبي صموئيل** إلى بيت يسَّى البيتلحمي ليمسح من بنيه مَلِكاً على إسرائيل، وأعجبه منظر **أليآب** بن يسَّى وطول قامته، قال الربُّ لصموئيل: **"ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب"** (١صم ١٦: ٧). والله رفض سبعة من أبناء يسَّى، ولكنه قَبِلَ الصغير **داود** راعي الغنم، الذي كان **"أشقر مع حلاوة العينين وحُسْن المنظر"** (١صم ١٦: ١٢) أيضاً، مثل أخيه، ولكن قلبه كان مختلفاً، وقال عنه الله: **"وجدتُ داود بن يسَّى رجلاً حسب قلبي، الذي سيصنع كل مشيئتي"** (أع ١٣: ٢٢).

+ والله **"فاحص الكُلَى والقلب"** (إر ١١: ٢٠) شدَّد على ألاَّ ننخدع بالظاهر، وإنما بالدافع والمُحرِّك الداخلي، وهو الفكر والقلب، وطلب من الإنسان أن يُعطيه قلبه (أم ٢٣: ٢٦)، لأنه إن انصلح سيكون ما يصدر عنه صالحاً مستقيماً. وفي تعليمه بيَّن أنَّ الباطن هو مصدر الخارج والظاهر: **"ما يخرج من الفم فمِن القلب يصدر"** (مت ١٥: ١٨).

+ والربُّ أيام تجسُّده، حيث ساد التظاهُر والرياء، أكَّد على أن تكون العبادة لله لا للناس، في الخفاء لا في العَلَن، وأن يلتمس المؤمن وجه الله وحده الذي سيُجازيه علانية في اليوم الأخير.

+ وآفة العبادة الوقوف عند حدِّ الممارسة الشكلية الآلية بغير روح، واعتبارها مجموعة من الفرائض يكون إتمامها بأيَّة صورة غايةً في حدِّ ذاتها، مهما ظلَّت الحياة على جفافها وبرودتها. وفي وقت من الأوقات كانت

بعض فروع مدارس الأحد تستخدم ما يُعرَف بـ **"الجدول الروحي"** الشهري الذي يحوي خانات: صلاة، صوم، صدقة، قراءة الكتاب، اعتراف، تناول؛ على أن يضع الأولاد علامة في الخانات التي تمَّموها يوماً بيوم، لكي يُتابع خادم الفصل السلوك الروحي لكلٍّ منهم. بالطبع كان الكل حريصاً على أن يمتلئ الجدول بالعلامات لئلا يكون موضوع لوم. وكان البعض، مِمَّن قصَّروا، يقعون تحت إغراء إضافة علامات فيما لم يُتمِّموه، لكيلا يخجلوا أمام خدّامهم.

فالمطلوب هنا كان **"الكَم"**، دون الاهتمام باستقامة القلب، وحياة التوبة الحقيقية، والصلاة بالروح وطاعة الإنجيل. كما أنَّ هناك شُبهة إرضاء النفس بممارسات شكلية وعبادة من الشفاه.

والربُّ أدان هذا الخداع للنفس من خلال الوصية والمَثَل والأحداث، ومن خلال تقديم نفسه كنموذج: **"تعلَّموا مني"** (مت ١١: ٢٩):

(١) عن الصلاة:

بيَّن الرب أنَّ المُعوَّل في الصلاة المقبولة، ليس هو على طولها أو ترديد كلماتها، وإنما هو القلب المتضع المستقيم الذي يأتي إلى الرب؛ لا مُتفاخراً بفضائله، وإنما تائباً شاعراً بتقصيره ومترجياً رحمة الله. والربُّ لام شعب إسرائيل الذي في صلاته يُقدِّم كلمات من الشفاه، أما قلبه فمُبتعد عنه بعيداً، وكرر على مسامعهم قول إشعياء: **"لأن هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني"** (إش ٢٩: ١٣؛ مت ١٥: ٧-٩؛ مر ٧: ٦،٧).

والرب صبَّ الويلات على الكَتَبَة والفرِّيسيين، وعلى كل مَن يهتم بطول الصلاة لا بروحها وعمقها وصِدْق إيمانها وقَدْر الحُب فيها، فقال:

"ويلٌ لكم أيها الكَتَبَة والفرِّيسيون المُراؤون، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، **ولِعلَّة تُطيلون صلواتكم**، لذلك تأخذون دينونة أعظم" (مت ٢٣: ١٤؛ مر ١٢: ٤٠؛ لو ٢٠: ٤٧)؛

"وحينما تُصلُّون لا تُكرِّروا الكلام باطلاً كالأُمم، فإنهم يظنُّون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم. فلا تتشبَّهوا بهم" (مت ٦: ٧)؛

"ليس كلُّ مَن يقول لي: يا ربُّ يا ربُّ، يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات" (مت ٧: ٢١).

+ فالصلاة ليست مجرد كلمات مرصوصة، كثرت أو قلَّت، خالية من الروح والإيمان والحُب الصادق. والله، واقع الأمر، لا يحتاج صلاتنا، بل نحن بصلاتنا نجاوب على محبته التي أحبنا بها أولاً، ونُعبِّر عن امتناننا لَمن أنقذنا من الموت ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. فالمرأة الخاطئة اقتربت ووقفت عند قدمَي الرب من ورائه باكية، وكانت تبل قدميه بالدموع وتُقبِّلهما وتمسحهما بشعر رأسها وتدهنهما بالطِّيب، **وبغير أن تتكلَّم**؛ والرب أعلن أنه **"قد غُفِرَت خطاياها الكثيرة، لأنها أحبَّت كثيراً"** (لو ٧: ٤٧).

+ والربُّ ساق لنا مَثَل **الفرِّيسي والعشَّار** لإيضاح أنَّ مَن يُصلِّي مُتفاخراً ببرِّه، ويحتقر ويدين غيره، ويكاد يقول إنه ليس محتاجاً لله، وهو فقط يُتمِّم فريضةً لإرضاء نفسه، لا فائدة تُرْجَى من صلاته.

بينما قَبِلَ الرب صلاة **العشَّار** الذي "... **وقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء** (لشعوره بخطيته وعدم استحقاقه للاقتراب من الله)، **بل قَرَع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ**" ملتمساً رحمة الله. مِن هنا فقد فاز بغفران خطاياه و"**نزل إلى بيته مُبرَّراً**" (لو ١٨: ٩-١٤).

هذا لا يعني أنَّ الصلوات القصيرة والكلمات القليلة أفضل من إطالة الصلاة؛ بل قد يكون قِصَر الصلاة تعبيراً عن جفاف الروح والتغرُّب عن الله. وعلى كلِّ حال، فالمطلوب دائماً توفُّر نقاوة القلب واتضاعه مع الحُب والإيمان والتجرُّد، فهنا فقط تُحقِّق الصلاة جدواها.

+ وفي الحقيقة فإنَّ الله يحثُّنا على مواصلة الصلاة دون ملل (لو ١٨: ١)، وعلى اللجاجة فيها، وقدَّم في ذلك مَثَلَين: "**صديق نصف الليل**"(١) (لو ١١: ٥-٨)، و"**قاضي الظلم**" (لو ١٨: ١-٨) (٢).

والصلوات تطول بغير ملل، والنفس مُبتهجة، فقط مع الذين يحبون الله من كل القلب والفكر، الذين سلَّموا حياتهم كلِّيّاً ونهائياً لله، وهم مِن ثمَّ يشعرون **بحضور الله** في كلِّ وقت، خاصة عند الصلاة. وعندما تنحصر النفس في الله، تتجاوز الزمن وواقع الحياة بحلوها ومُرها. مِن هنا استطاع مُحبُّ لله **كداود** أن يقول: "**أُبارك الرب في كلِّ حين، دائماً تسبيحه في فمي**" (مز ٣٣: ١)؛ بل إنه تجاسر على القول: "**أما أنا فصلاة**" (مز ١٠٩: ٤)، أي أنه كله صلاة دائمة واتصال لا ينقطع بالله.

---

(١) انظر مقال "**صديق نصف الليل**"، في الكتاب الثالث عشر، من "**نور الحياة**"، ص ٣٤.

(٢) الذي ختمه بقول القاضي: "**أفلا ينصف الله مختاريه، الصارخين إليه نهاراً وليلاً، وهو متمهل عليهم؟**"

والذين يأتون إلى الكنيسة متأخرين، أو يجلسون شاردين يُصيبهم الملل ولا يشتركون في الصلوات، ويُحادثون بعضهم بعضاً؛ هؤلاء علاقتهم بالله كعلاقتهم برئيس الدولة: يعترفون به ولكنهم لا يعرفونه، فهُم لا يشعرون بحضور الله في حياتهم أو في الكنيسة. وهم يجيئون إلى بيت الله ولكنهم لم يلتقوا به يوماً. والكتاب يُسجِّل عليهم: **"فلا يظنَّ ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب"** (يع ١: ٧).

+ الآلية آفة الصلاة والتسبيح وكل العبادة. وقد يستغرق شمامسة الخورس في ضبط اللحن وانسجام الصوت دون أن يُتابعوا معنى الكلمات المُصاحبة التي قد تكون صلاةً وتوسُّلاً وطلباً لمراحم الله، أو تمجيداً له، أو تذكُّراً لإحساناته. وبغير الوعي والفهم بمعنى ما نقول، يصير الأمر كله لغواً بغير طائل وعبادة بالشفاه لا بالقلب.

والقديس بولس يُنبِّهنا أن ننحصر في الصلاة والترتيل بكل قوانا الروحية والعقلية لكي ننال بركة التسبيح، فيقول: **"أُصلِّي بالروح وأُصلِّي بالذهن أيضاً. أُرتِّل بالروح وأُرتِّل بالذهن أيضاً"** (١كو ١٤: ١٥).

(٢) عن الصوم:

نعود إلى مَثَل **الفرِّيسي والعشَّار**، حيث ذَكَر **الفرِّيسي** في صلاته: **"أصوم مرتين في الأسبوع"** (لو ١٨: ١٢). فهو كان حريصاً أن يُبيِّن عدد مرات الصوم لإظهار التزامه. ولكن ما شوَّه عبادته كبرياؤه وإحساسه ببرِّه، حتى أنه وهو يُصلِّي أدان غيره، بل نعت رفيقه العشَّار بالخاطئ، فخرج من الهيكل صفر اليدين، ولم يشفع له صومه؛ ولكن **العشَّار**، الذي كانت تسبقه سمعته الرديئة وضعف تديُّنه، تقدَّم بروح الصائم المنكسر التي افتقدها الفرِّيسي، فنزل إلى بيته مُبرَّراً.

ولا شكَّ أنَّ الالتزام بصوم كل الأيام بحسب الترتيب الكنسي هو أمرٌ مُبارَك، لأن فيه تخلِّياً إرادياً عن سطوة الجسد، وإضراماً للروح، واعترافاً بأنَّ واهب الحياة هو الله "خبز الحياة" (يو ٦: ٥١) وليس لقمة الخبز (تث ٨: ٣؛ مت ٤: ٤؛ لو ٤: ٤).

+ على أنَّ ما ينبغي الاهتمام به في الصوم هو الجانب الروحي أي التعفُّف عن كلِّ ما هو رديء، وتكثيف النشاط التَّقَوي: صلاةً وحفظاً لكلمة الله، وتوبةً، واقتراباً من مائدة الرب، وخدمةً وعطاءً أوفر.

أما الاكتفاء بتغيير أنواع الطعام، والتحايُل على اصطناع أطعمة تقترب من تلك التي نأكلها في غير أيام الصوم، دون حتى الانقطاع عن تناول الطعام فترة من النهار، فهذا كله لن يفيد أو يُغيِّر الحياة إلى الأفضل. فالطعام وحده، سواء أكلناه أو امتنعنا عنه **"لا يُقدِّمنا إلى الله. لأننا إن أكلنا لا نزيد، وإن لم نأكل لا ننقص"** (١كو ٨: ٨).

+ ولعل اقتصار الصوم في مفهوم البعض على أمور الطعام وحده دون إدراك جوانبه الروحية، كمجال للتوبة وتغيير الحياة، قد يُفسِّر اتساع دائرة الإقبال عليه بحسبانه أمراً يسهل ممارسته، وربما قد يضعون في الاعتبار فوائده الصحية أو معاملته كنظام غذائي لتخفيض الوزن.

على العكس، فإنَّ الصوم - كالصلاة - ممارسة روحية صعبة تحتاج بالفعل إلى مؤازرة النعمة، وتقتضي كل الوعي والمثابرة، وحشد كل جهد روحي لكي ننال ثماره الروحية؛ والتركيز على أمور الطعام وحدها، هو انحراف بهدف الصوم وإدخاله في نطاق جسدي حرفي.

وقد لا يقوى بعض المرضى وكبار السن على الالتزام بفترة انقطاع طويلة نسبياً، أو لحاجتهم لتناول أدويتهم، أو الاستغناء عن بعض الأطعمة التي يمتنع تناولها في فترات الصوم؛ ولكن هذا لن يمنعهم من الممارسة الروحية للصوم، وذلك بأن يضاعفوا الجرعة الروحية فيما يتصل بالصلاة، واللهج في كلمة الله، والالتزام بالتوبة، وحضور القدَّاسات، والتناول المتواتر، وضبط النفس فكراً وقولاً وتصرُّفاً، ونبذاً للخصومة والخشونة، وإفاضة للمحبة للقريب والغريب، وتخفُّفاً من التنعُّم والاهتمام بأمور الجسد.

(٣) عن العطاء:

ينبغي أن يوقر في الذهن أنه مهما كان عندنا من مال وممتلكات، فنحن في الحقيقة لا نمتلك شيئاً، وأنَّ الله هو مالك ومُعطي كل شيء: **"للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها"** (مز ٢٤: ١).

وعندما يطلب الرب منَّا أن **"هاتوا العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام"**، فهو لا يقف أمامنا محتاجاً، ولكنها محبة الله ولُطفه أن يحثنا أن نُعطي كأنما نحن مَن نملك. وهو عندما حدَّد في العهد القديم ما يطلبه **بالعشور**، ولكي يُشجِّع الإنسان أن يستجيب ويُعطي، قال: **"هاتوا... وجرِّبوني"**، فسوف أَرُدها لكم أضعافاً، وأكثر من ذلك: **"إنْ كنتُ لا أفتح لكم كوَى السماء، وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع"** (ملا ٣: ١٠).

كما قال الرب أيضاً: **"أَعْطُوا تُعْطَوْا، كيلاً جيداً مُلبَّداً مهزوزاً فائضاً يُعْطُون في أحضانكم"** (لو ٦: ٣٨). على أننا ينبغي أن نذكر الحقيقة ونقول لإلهنا: عفواً، **"لأن منك الجميع، ومِن يدك أعطيناك... ولك الكل"** (١أي ٢٩: ١٤،١٦).

وبالتالي، من ناحية المبدأ، يصير تقديم العشور إلى بيت الله أمراً إلهيّاً واجب الطاعة، وغير قابل للمساومة، أو التثاقُل، أو التشاغُل، أو الاعتذار بأنَّ الظروف لا تسمح، فهذه تصرُّفات مَن يملك. أما ما دام المالُ مالَ الله، ونحن فقط مجرَّد وكلاء عنه، لإنفاقه فيما ينبغي بغير إسراف أو تقتير؛ مِن هنا تصبح **العشور** الحدَّ الأدنى للعطاء، **وأنَّ مَن يمنع عن الربِّ عشوره فهو كمَن يسلبه** (ملا ٣: ٨).

+ على أنَّ الرب بيَّن أنَّ الأمر ليس تنفيذاً شكلياً للوصية، كمَن يصلُّون بالشفاه، والقلب مبتعدٌ عنه بعيداً (مت ١٥: ٨؛ مر ٧: ٦)، فلا يصير العطاء هنا من أعمال الإيمان والمحبة، وإنما مجرد فريضة يصير إتمامها كيفما اتَّفق هدفاً في حدِّ ذاته، مثل هؤلاء الذين ذكرهم المسيح وهم لا يفوتهم أن يُعشِّروا حتى النَّعْنَع والشبث (والسَّذاب وكل بَقْل) والكمون، بينما هم يتركون الأعظم و"**أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان** (الحق ومحبة الله)". فتقديم العشور لا يُجدي إنْ لم يكن مسنوداً بالإيمان المستقيم والرحمة الصادقة ومحبة الحق، ولن يغني الواحد عن الآخر: "**كان ينبغي أن تفعلوا هذه ولا تتركوا تلك**" (مت ٢٣: ٢٣؛ لو ١١: ٤٢).

+ الممارسات الآلية مهما فاضت لا يُلتفت إليها، مثَلها مثَل كل الأعمال الميتة، وهي جهاد وتعب باطل (جا٢: ١٠، ١١، إر٥١: ٥٨، ١كو١٥: ٥٨، في ٢: ١٦)، ولأصحابها يقول الرب "**فاذهبوا وتعلموا ما هو: إني أريد رحمة لا ذبيحة**" (هو٦: ٦، مت٩: ١٣).

+ على أنَّ المسيح، المُبشِّر بعهدٍ جديد للإنسان مع الله، قال في مجال العطاء: "**إنكم إنْ لم يَزِدْ برُّكم على الكَتَبَة والفرِّيسيين لن تدخلوا**

ملكوت السموات" (مت ٥: ٢٠)؛ بمعنى أنه إنْ لم يتَّسع القلب، فيحب الله أكثر من النفس والممتلكات، وبالتالي أن يتجاوز حد العشور ويُعطي مثل إلهه **"بسخاء"** (يع ١: ٥) و**"بسرور"** (٢كو ٩: ٧)؛ فلن يستحق الشخص أن يكون تلميذاً للمسيح ووارثاً للملكوت.

+ ولكن الأمر، بحسب المسيح، ليس فقط يتجاوز العشور ومحدودية العطاء؛ بل إنَّ الوصية تمتدُّ إلى **"مَن سألك فأَعْطِهِ، ومَن أراد أن يَقترض منك فلا ترُدَّه... ومَن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً... ومَن أخذ الذي لك فلا تُطالبه"** (مت ٥: ٤٢؛ لو ٦: ٢٩، ٣٠).

فالمسيح يريد أن يكون المسيحي مثله: سفيراً إلى العالم، ينثر الحب والرحمة والعطاء وسد الإعواز، ليس فقط لمَن يسأله أو يقترض منه، بل ومَن يريد أن يأخذ الذي له، دون انتظار المكافأة أو المقابل:

"وإن أقرضتم الذين تَرْجُون أن تستردُّوا منهم، فأيُّ فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يُقرِضون الخطاة لكي يستردُّوا منهم المِثْل... بل... أحسنوا وأقرِضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العَليِّ... فكونوا رُحماء كما أنَّ أباكم أيضاً رحيمٌ" (لو ٦: ٣٤-٣٦).

ولا شكَّ في صعوبة هذه الوصايا وإمكان تنفيذها، ولكن صاحب الوصية يُدرك أيضاً قصورنا، فيحمل مع المؤمن عبء تنفيذها بنعمته؛ كما أنَّ الله، باعتباره صاحب المال، هو الذي سيملأ ويعوِّض ما نقص من صندوق العطاء.

+ ربما مع بدء العلاقة مع المسيح قد يقتصر الأمر على تقديم العشور بالضبط. ولكن كلما زادت المحبة، وانتعشت الحياة الروحية، يتشدَّد الإيمان

وتنمو الثقة في الله، وبالتالي تتضاءل قيمة المال والأشياء. وهكذا يصير العطاء السخي والاستجابة التلقائية لَمن يسألنا شيئاً أو قرضاً، بهجة للقلب؛ وفي نفس الوقت، يفيض الرب بالبركة على المؤمن وعلى بيته سلاماً وفرحاً وخيراً: **"مَن يزرع بالبركات، فبالبركات أيضاً يحصد"** (٢كو ٩: ٦)، كما يتمتع بمحبة الله: **"المُعطي المسرور يحبُّه الله"** (٢كو ٩: ٧)، وتتأكَّد بنوَّته لله.

+ الله يفرح بالعطاء الكريم بغير تحفُّظ، وبنفس مبتهجة شاكرة لله أنه أتاح لها أن يكون عندها ما تُعطيه.

ولكن الله يتأسَّف بإزاء الذين يعطون بالشُّح، ونصيبهم من عطايا الله الغَني بالتالي سيكون شحيحاً أيضاً: **"مَن يزرع بالشُّحِّ فبالشُّحِّ أيضاً يحصد"** (٢كو ٩: ٦).

+ والله يُشدِّد على ألاَّ يكون العطاء لحساب الذات، أو سعياً لمديح الناس، أو طلباً لمقابل فيرتبط العطاء بالأَخذ، فهذا كله يعني أنَّ العطاء ليس مُقدَّماً لله. هكذا قال الرب في موعظته على الجبل، وهو يدين المظاهر المُصاحبة لتقديم الصدقة في ذاك الزمان:

"احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قُدَّام الناس لكي ينظروكم، وإلاَّ فليس لكم أَجرٌ عند أبيكم الذي في السموات. فمتى صنعتَ صدقةً فلا تُصوِّت قُدَّامك بالبوق، كما يفعل المُراؤون في المجامع وفي الأَزقَّة، لكي يُمجَّدوا من الناس. الحقَّ أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم! (فقد أخذوه من الناس ومِن رضاهم عن أنفسهم)، **وأمَّا أنت فمتى صنعتَ صدقةً فلا تُعرِّف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يُجازيك علانيةً"** (مت ٦: ١-٤).

والقصد أنه إذا كان مطلوباً عند العطاء ألاَّ تعرف شمالي ما تفعل يميني، كأني أخفي العطاء عن نفسي، فلا تمتلئ بالرضا والزهو، فبالأَوْلَى أن يُخفَى هذا الأَمر عن الآخرين، ليكون مُقدَّماً لله وحده، وهو الذي سيُجازي **"كل واحد كما يكون عمله"** (رؤ ٢٢: ١٢).

+ كما أنَّ الله يرفض عطايا الذين يُقدِّمون، ولو كثيراً، وإنما عن اضطرار أو تحت ضغط الحرج من الآخرين، كما فعل **حنانيا**، الذي لَمَّا رأى الكل يبيعون ممتلكاتهم من حقول أو بيوت ويأتون بأثمانها عند أرجل الرسل، وجد نفسه مضطراً لأن يبيع الحقل الذي يملكه. ولكن لأن نيته لم تكن صافية، فقد احتجز جانباً من ثمن الحقل، بعلم امرأته **سفيرة**، وأتى بباقي الثمن ووضعه عند أرجل الرسل، مُدَّعياً أنه كل الثمن، كما فعل الآخرون، حتى لا يبدو مختلفاً عنهم.

ولأن الله لا ينظر إلى حجم العطاء، وإنما هو **"ينظر إلى القلب"** (١صم ١٦: ٧) واستقامة النيَّة مع الإيمان والمحبة، فلم يجد الكثير الذي أتى به **حنانيا** قبولاً عند الله، الذي رفض عطاءه بصورة علنية، وسمح **لبطرس** أن يردَّ له فضته، واعتَبَر ما فعله **اختلاساً** من ثمن الحقل، **وتدبيراً من الشيطان، وكذباً على الروح القدس**. فالله لا يحتاج إلى تقدمات المُرائين والجُبناء والكاذبين والمُدَّعين، وهكذا حَكَمَ بالهلاك على **حنانيا**.

كما كان **لسفيرة** امرأته أيضاً نفس المصير. فهي جاءت وهي لا تعرف بما جرى لزوجها. ولما سألها **بطرس** إن كانا قد باعا الحقل بهذا المقدار، فأمّنت على كلامه. وليتها قالت الحقيقة، إذ لو كانت قد فعلت لأنقذت نفسها من حُكْم الموت الذي سمعته بأُذنيها: **"ما بالكما اتفقتما على تجربة**

روح الرب؟ هوذا أرجُل الذين دفنوا رجُلكِ على الباب، وسيحملونكِ (فاقدة الحياة) **خارجاً"**، لتُدفن بجوار رجلها (أع ٥: ١-١٠).

+ الصورة الضدُّ نراها عندما جلس الرب في الهيكل تجاه الخزانة **"ينظر "كيف" يُلقي الجمع نُحاساً في الخزانة؟"**. وكان **أغنياء** كثيرون يلقون كثيراً، وكأنهم يتفضَّلون على الله بما أفاضه عليهم. ثم جاءت **أرملة** فقيرة بدا أنها تحب الله، ولكن ما معها كان قليلاً. مِن هنا فهي دخلت الهيكل على استحياء، ثم ألقت **فلسين** (قيمتهما رُبع)، ولعلها أرادت أن تفرَّ بعدها خجلاً من ضآلة ما قدَّمته.

على أنَّ الرب نظر إلى عطائها، وأنها لم تحجب القليل، الذي هو كل ما كان عندها، عن الله الذي تحبه. فدعا تلاميذه مُقدِّراً عطاء الأرملة بما يُثير الدهشة، إذ قال لهم إنَّ هذه الأرملة **"ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة"**، كيف؟! فقال لهم: **"لأن الجميع من فضلتهم** (مما فاض عندهم من دخولهم الكبيرة) **ألقوا في قرابين الله، وأمَّا هذه فمِن إعوازها** (أي مِمَّا لازالت تعتازه) **ألقت كل المعيشة التي لها (كل ما عندها)"** (مر ١٢: ٤١-٤٤؛ لو ٢١: ١-٤).

فالأغنياء رغم كثرة ما أعطوا، أعطوا بالشُّحِّ؛ أمَّا **الأرملة** على قلة ما أعطته، فإنها أعطت بسخاء. فليس القليل أفضل من الكثير، ولا الكثير أفضل من القليل؛ ولكن المهم أن يكون العطاء، القليل أو الكثير، من نفس مؤمنة متضعة تفرح بالعطاء، وتُدرك أنها تُعطي لله مِمَّا لله، وليس مِن عندها، قلَّ أو كثر.

+ مع هذا فإنَّ بعض مؤسساتنا تحفل بأصحاب الكثير، وتغضُّ الطرف عن مدى إيمانهم وانتمائهم للمسيح وطاعة وصيته، والتزامهم بالتوبة الدائمة، والسلوك بالاتضاع، فما يهمُّ هنا هو "**الكم**" الذي يسهم في ارتفاع المباني وتمويل المشاريع. وهم في هذا يتنكَّرون لناموس المسيح الذي لا يحفل بالكَم والظاهر، وإنما بالدوافع وكونها روحية أو جسدية، وأن يكون القلب صادقاً مستقيماً يقتاده الروح.

وقد ألمح **القديس يعقوب** إلى مثل هذه العيوب، في مواقع بعينها في الكنيسة الأولى، كانت تُحابي الأغنياء المتسلِّطين، وتحتقر الفقراء، في نهج يُضاد شريعة المسيح ولامهم قائلاً: "**أَمَا اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورثة الملكوت الذي وَعَدَ به الذين يحبُّونه؟**" (يع ٢: ٥)، وداهم بأنهم إذ يتعدُّون الوصية: "**تحب قريبك كنفسك**"، فإنهم "**يفعلون خطية**"، ومَن "عثر في واحدة، **فقد صار مُجرماً في الكلِّ**" (يع ٢: ١٠).

... والكلام هو لنا أيضاً. وليت روح الله يهبنا أن نفرح بالعطاء، وأن يتَّسع قلبنا بمحبة الله، كي نرى شخص الرب فيمَن تضعه النعمة أمامنا لنُعطيه أو نُقرضه: "**لأني جُعتُ فأطعمتموني. عطشتُ فسقيتموني. كنتُ غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني**" (مت ٢٥: ٣٥،٣٦).

(٤) عن حفظ كلمة الله:

كلمة الله سِراج ونور لنا في طريق الحياة، ولكنها ليست سحراً في ذاتها بحيث نكتفي أن نضع الكتاب المقدس في غرفة الاستقبال للبركة، أو في السيارة لحمايتها من الحوادث!

كلمة الله تكون لنا نوراً عندما نفهمها ونُطبِّقها ونسير على هَدْيها، ونسعى لنشرها والتبشير بها.

+ كلمة الله ليست عسيرة على الفهم، ولكنها تقتضي أن يُوفَّر لها الوقت والاهتمام والاجتهاد الأمين، كما نفعل مع كتب المدرسة والجامعة التي ننشد بدراستها وفهمها النجاح في الامتحان وممارسة العمل. ولكن إذا كانت هذه هامة لحياتنا الحاضرة؛ فإنَّ تلك، أي كلمة الله، هي ضرورية لحياتنا المعاصرة والعتيدة.

+ التغرُّب عن كلمة الله هو الذي يجعلها غامضة عند البعض، عسيرة على الاستيعاب. ولكنها عندما تصير قريبة إلى القلب وخاضعة لتفسير الروح، تصير مفهومة وبهجة للقلب.

+ الحياة المسيحية لا تنفصل عن كلمة الله. وحفظ الكلمة وطاعتها وتنفيذها هو وقود حياة المسيحي. ومجرد حفظ الآية عن ظهر قلب دون استيعابها وتنفيذها فهذا لا يُحرِّك الحياة، وهو إهانة للكتاب، كالفقير الذي يكاد يهلك جوعاً ويغلق على طعامه في الخزانة. وكلما كانت الكلمة حاضرة في الذهن والقلب، كلما تمَّ تفعيلها في مواقف الحياة. وهكذا نتغيَّر يوماً بعد يوم حتى تتطابق حياتنا على حياة المسيح، ويصير تنفيذ وصايا المحبة والتسامُح والتوبة والخدمة ورَفْض الخطية نزوعاً تلقائياً، وكأننا نعيش الملكوت ونحن على الأرض: **"ليكن كلامكم كل حينٍ بنعمةٍ، مُصْلَحاً بملح، لتعلموا كيف يجب أن تُجاوِبوا كل واحد"** (كو ٤: ٦).

+ هناك المؤمنون الذين حُرموا من التعليم، فلا يعرفون الكتاب إلاَّ شفهياً وبالتواتر، ويحفظونه بالسماع في الكنيسة أو من الأهل، وتقودهم في الحياة مجموعة من الآيات الرئيسية القليلة. وهم مرتبطون بالكنيسة أُمهم، وربما يحضرون اجتماعات درس الكتاب، ويُنفِّذون كلمة الإنجيل صلاةً وصوماً وتوبةً واقتراباً من الأسرار، واشتراكاً في أعياد الكنيسة، ويحرصون أن يتعلَّم أولادهم الإنجيل، ويُمارسون الإيمان ربما أفضل بكثير من بعض المتعلِّمين، ومنهم مَن لم يُنكروا المسيح ساعة الشدَّة و لم يحبوا حياتهم حتى الموت(٣).

+ المؤمنون الذين أُتيحت لهم فرصة التعليم، مُطالَبون أمام الله أن يُفتِّشوا الكُتُب لأن لهم فيها حياة أبدية (يو ٥: ٣٩). ولكن مجرد قراءة الكلمة، كنوع من الواجب، قراءة آلية بغير فهم، لا تفيد إلاَّ قليلاً، فهذا يدخل في مجال الأداء الكمِّي وحده. وكلمة الله المكتوبة بالروح تحتاج لمعونة الروح، وهذه نستدعيها بالصلاة، لكي نستوعب أعماقها.

+ القراءة المتواترة للكلمة هي بركة ونعمة فائضة عندما تقترن بفهمها والتأمُّل فيها، ورَفْع القلب إلى الله، وبَذْل الجهد في الرجوع إلى مصادر التفسير المُتاحة وهي كثيرة. هنا يتكامل الكم والكيف وتتعاظم الفائدة. وكما في الصلاة، نقرأ ونستوعب الكلمة **"بالروح وبالذهن أيضاً"** (١كو ١٤: ١٥).

---

(٣) العشرون شهيداً من شهداء كنيستنا في ليبيا، مطلع ٢٠١٥، الذين نُحرت رؤوسهم على مرأى من العالم، كان أكثرهم من محدودي التعليم؛ ولكن إيمانهم كان أقوى من الموت.

وعلى نهج القديس بولس، وهو يُقيِّم موهبة التكلُّم بالألسنة، أنْ يقول المؤمن خمس كلمات بذهنه (أي كلاماً مفهوماً) أفضل من عشرة آلاف كلمة بلسان (أي بلغة غريبة على السامعين). فإذا طبَّقنا هذا القانون في مجال قراءة كلمة الله، فأنْ يقرأ الشخص جزءاً محدوداً من الكتاب بروح الصلاة، وتتوفَّر له وسيلة التفسير فيفهم ويستنير، أفضل من قراءة طويلة آلية يسعى للانتهاء منها بغير أن يُتابع ويفهم ويتعلَّم.

+ العجلة عند قراءة الكلمة (كما يحدث أحياناً مع مزامير السواعي) هي انشغال بالكمِّ عن الكيف. وربما يكون الأفضل أن يقرأ كل مُصلٍّ مزموراً واحداً بتأنٍّ ومتابعة ذهنية وروحية، فيتحقَّق الهدف دون أن تُمتهن كلمة الله بالقراءة المتعجِّلة كفريضة تتمُّ كيفما اتَّفق: **"وُجِدَ كلامك فأكلته. فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي"** (إر ١٥: ١٦).

+ المؤمنون المتعلِّمون الذين لا يقرأون الكتاب، هم – في واقع الأمر – مسيحيون بالاسم: إيمانهم محدود، ومعرفتهم بالمسيح سطحية شكلية. وبالتالي هم عاجزون عملياً عن مُجاوبة كل مَن يسألهم عن أمور الإيمان، فضلاً عن التبشير باسم المسيح لا بالقول ولا بالعمل. إنهم نقطة الضعف في جماعة المؤمنين المحسوبين عليها دون أن يُضيفوا إليها؛ بل هم في الحقيقة يُطرحون منها.

+ كلمة الله تتكامل ولا يمكن أن تتناقض، ولا تُفسَّر آية بغير سائر الآيات. فالروح هو الناطق في الأنبياء، وكلام المسيح في العهد الجديد يُكمِّل المكتوب في العهد القديم، ناقلاً الإنسان إلى عهد الله الجديد الذي بشَّر به الأنبياء (إر ٣١: ٣١-٣٤). فمثلاً الدعوة إلى عدم محبة العالم

(١يو ٢: ١٥)، أي التحرُّر من شهواته وعدم الخضوع لماديتـــه، يتكامَـــل معها أن نكون أيضاً ملحاً للأرض ونوراً للعالم (مت ٥: ١٣،١٤)، ومحبة للقريب ودعوة لإنقاذه من الموت.

+ كلام الكتاب، إذاً، يُفسِّر بعضه بعضاً، ولا تُقتَطَع كلمة من السياق. وأُسس العقيدة لا تُبنَى على آيـــة واحدة مـــن هنا أو أخرى مـــن هناك. وموضوعات مثل: طبيعة المسيح، أو الإيمان والأعمـــال، أو الشـــفاعة، أو رئاسة بطرس، أو غيرها؛ تصير ملتبسة أحياناً بالإنحيـــاز إلى آيـــاتٍ دون آيات.

+ من ناحيةٍ أخرى، فنحن نفهم كلمة الله بالروح وليس بظاهرها. فقد يقود الالتزام بحدود الحرف وظاهر الكلام إلى فهمٍ خاطئ. والكتاب يُعلِّم أنَّ **"الحرف يقتل، ولكن الروح يُحيي"** (٢كو ٣: ٦). وحـــتى بالنســـبة للقانون الطبيعي، فنص القانون وروحه يتكاملان. وبحسب قول الـــرب: **"السبت إنمـــا جُعل لأجـــل الإنسان، لا الإنســـان لأجـــل الســـبت"** (مر ٢: ٢٧).

ونحن نتفادَى الفهم الخاطئ للآية بأن نُقرنها بالآيات الأخرى ذات العلاقة، وهكذا ينكشف قصدها الحقيقي. وعلى سبيل المثال، فأقوال المسيح الصـــعبة التي يُشير فيها إلى أنه ما جاء ليُلقي سلاماً على الأرض، بل سيفاً وانقساماً بين الناس ونارا تضطرم (مت ١٠: ٣٤؛ لو ١٢: ٤٩-٥١)؛ يتضح معناها عندما نضع مقابلها هباته العُظمى: سلامه الكامل (يو ١٤: ٢٧)، وروحه المعـــزِّي (يو ١٤: ١٦،١٧؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ١٣).

فنحن لم نَفُزْ بخلاص المسيح وسلامه إلاَّ من خلال ذبيحة الصليب الدامية، فحياتنا كلَّفته حياته، وإيماننا بالمسيح يعني في نفس الوقت انفصالنا عن العالم الشرير ورئيسه إبليس. وبالنسبة للكثيرين فإنَّ إيمانهم بالمسيح أدَّى إلى انقسام العائلة طاعةً لله أكثر من الناس بل وأقرب الناس، كما كلَّف الإيمان الكثيرين حياتهم على مدى القرون(٤).

(٥) عن الخدمة المسيحية:

الخدمة بأنواعها هي جانب أساسي من التزامات المؤمن العادي، باعتبار أنَّ كل المؤمنين هم أيضاً **تلاميذ للرب** (أع ٩: ١،٣٦؛ ١٩: ١) يُبشِّرون باسمه (مت ٢٨: ١٩) ويسعون وسط العالم كسفراء عنه (٢كو ٥: ٢٠).

وخدمة الله والقريب هي تحقيق عملي لمحبة الله والقريب (غل ٥: ١٣؛ ١يو ٣: ١٦،١٧). والرب جعل خدمة الآخر المحتاج كأنها مُقدَّمة له هو، واعتبر كل ضعفاء العالم إخوته الأصاغر (مت ٢٥: ٤٠،٤٥)، وأنَّ أية خدمة تؤدَّى اضطراراً أو حرجاً وتخلو من المحبة والإيمان هي كذبيحة الأشرار **"مكرهة للرب"** (أم ١٥: ٨)؛ بل و**"تُحتَقر احتقاراً"** (نش ٨: ٧).

والكتاب يُشجِّع على سخاء الخدمة وكرمها بمثل ما يفيض الله على الكل من خبراته: **"مَن يزرع بالشُّحِّ فبالشُّحِّ أيضاً يحصد. ومَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد"** (٢كو ٩: ٦).

---

(٤) عرفنا في بلادنا كيف يدفع المؤمنون ثمن تبعيتهم للمسيح خطفاً وقتلاً، وطرداً من بيوتهم ثم إحراقها. فضلاً عن إحراق الكنائس ومَنْع إعادة بنائها. كما أنَّ بلاداً بأكملها في شرقنا الأوسط (مثل: الموصل – نينوى القديمة – في العراق) تمَّ تهجير أهلها المسيحيين وهَدْم كنائسهم وأديرتهم.

+ الخادم وظيفته أن يخدم لا أن يكون سيِّداً. ولأن المعلم والسيِّد الحقيقي: **"لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم، وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين"** (مت ٢٠: ٢٨؛ مر ١٠: ٢٨)؛ فكذلك ينبغي أن يكون خُدَّامه، فإنه **"ليس عبدٌ أعظم من سيِّده، ولا رسول أعظم من مُرسله"** (يو ١٣: ١٦). وكما انحنى السيد إلى الأرض ليلة آلامه، وأخذ يغسل أرجل تلاميذه (بمن فيهم مَن يعرف أنه سوف يُسلِّمه للموت، ومَن يعرف أنه سوف يُنكره وقت شدَّته)؛ فبالأَوْلَى أن يتضع خُدَّامه، الذين هم في مقام العبيد بالنسبة للسيد، وأن يُعامِلوا مخدوميهم كأبناء السيد دون تململ أو تعال(٥).

فالخدمة ليست كرامةً ومركزاً، وإنما هي بذل وعطاء: **"ولكنني لستُ أحتَسبُ لشيء، ولا نفسي ثمينةٌ عندي، حتى أُتمِّم بفرح سَعْيي والخدمة التي أَخذتُها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله"** (أع ٢٠: ٢٤).

+ الموقع الأول في الكنيسة - بحسب الإنجيل - يكون من خلال الخدمة الباذلة بروح العبد للسيِّد: **"إذا أراد أحدٌ أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل"** (مر ٩: ٣٥). والعظمة الحقيقية ليست في الرئاسة والسلطة، وإنما في خدمة المسيح وإخوته: **"مَن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكُن لكم خادماً، ومَن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكُن لكم عبداً"** (مت ٢٠: ٢٦،٢٧؛ مر ١٠: ٤٣)، **"وأكبركم يكون خادماً لكم"** (مت ٢٣: ١١).

---

(٥) أحد آباء كنيستنا الكبار في القرن الماضي، وهو يواصل محاولاته لكي يُصلح بين زوجين متخاصمين، انحنى في نهاية الأمر إلى الأرض وقبَّل حذاء الزوج المُعاند، الذي انكسر كبرياؤه من اتضاع الأب وعاد السلام إلى البيت.

والملك المسيح كان عرشه صليباً وتاجه إكليلاً من الشوك. والرب أدان الكَتَبَة والفرِّيسيين لأنهم كانوا **"يُحبُّون المُتَّكأ الأول في الولائم، والمجالس الأولى في المجامع"** (مت ٢٣: ٦؛ مر ١٢: ٣٩؛ لو ١١: ٤٣؛ ٢٠: ٤٦).

+ المسيح لَمَّا دعا كل المُعذَّبين في الأرض إخوته الأصاغر، أزال الحواجز أمام خدمة الكل بغير تمييز بحسب الدين أو العقيدة أو الجنس أو الطبقة أو اللون. فالمسيح هو للكل وليس للمسيحيين وحدهم. وكما قال القديس يوحنا ذهبي الفم: **"ماذا ينفع تزيين مائدة المسيح بأوانٍ ذهبية، إذا كان هو نفسه يموت جوعاً؟ سِدَّ جوعه أولاً، وانظُر فيما بعد أمر تجميل مائدته بالعطايا"**.

الكنيسة تسعى للقطاعات المُهمَلة والفقيرة، وتحتضن الطبقات الدُّنيا التي ضاقت بها الدُّنيا، وتُدمجها مع سائر شعبها، وتُوحِّد الكل ضمن جماعة واحدة رأسها المسيح: **"في كل شيء أريتكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتَعْضُدُون الضعفاء، متذكِّرين كلمات الرب يسوع أنه قال: مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأَخْذ"** (أع ٢٠: ٣٥).

+ خدمة الكاهن تفقد معناها إذا صارت وظيفة مقابل عمل بساعاتٍ محدودة وحقوق في الأجازات والمعاش. هكذا تهدر قيمتها فتهبط من انتمائها لملك الملوك لتصير لحساب العالم الذي سيطويه الموت.

وقد تبدأ خدمة الكاهن قوية نشطة، ويَنْعَم مع شعبه ببركاتها، ثم بمُضيِّ السنين تتحوَّل إلى الآلية الخالية من الروح والحُبِّ. وهو قد يظل يزور

المرضى أو مَن فقدوا أحباءهم، وإنما بغير أن يتواصل معهم روحياً أو يُشاركهم بالقلب آلامهم وأحزانهم. وهو يهتم براحته ورفاهية حياته بينما كان سيده يقول: **"طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمِّم عمله"** (يو ٤: ٣٤). وهو يُبرِّر اقترابه من أصحاب الأموال بأنهم يسدُّون احتياجات الكنيسة، ولكن هؤلاء تصير لهم دالة عنده بهداياهم وتلبية مطالبه. وفي النهاية يصير أسير مطالبهم.

وهكذا يتباعَد عمَّا ألزم به نفسه رسول عظيم **كالقديس بولس** الذي قال لقسوس أفسس: **"فضة أو ذهب أو لِبَاس أحدٍ لم أَشتَهِ. أنتم تعلمون أنَّ حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان"** (أع ٢٠: ٣٤).

+ الذين يخدمون في التعليم والوعظ عليهم أن يُداوموا التلمذة لكلمة الله وحفظها ودراستها، وإلزام أنفسهم بكل ما يُعلِّمون به، مُقدِّمين أنفسهم قدوة للمؤمنين (١تي ٤: ١٢)، ومستندين إلى عمل النعمة، وهكذا يقودون مَن يخدمونهم في طريق الخلاص: **"لاحِظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إذا فعلتَ هذا، تُخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً"** (١تي ٤: ١٦).

ولا يليق أن يقتحم مجال التعليم مَن ليس مؤهَّلاً لهذه الخدمة، حتى لا يصير عثرة للكنيسة، ومُعطِّلاً لدعوة الخلاص (٢كو ٦: ٣).

+ العظة يُقصَد بها تفسير الإنجيل، وليست مهمتها ملء الوقت بأيِّ كلام كجزء من الطقوس. ولا يهم طول العظة أو قصرها، وإنما عمقها الروحي، ودعوتها المباشرة لتسليم الحياة، والتمتُّع بالخلاص، وممارسة التوبة،

والإمساك بالحياة الأبدية. ولا يليق أن تمتلئ بالمرح لجذب الانتباه وطرد الملل. فيجب أن تُحاط كلمة الله بالوقار والجدية. وهي إهانة للكلمة أن تصير للتسلية، ولن تمرَّ هذه السقطة بغير عقاب.

❋ ❋ ❋

في زمن المسيح، حيث ساد الزيف علاقة الإنسان بالله وغلب عليها الكم والحرف والشكل، أدان الرب رجال الدين الذين ضلَّلوا شعبهم، وساق تعاليمه التي أحيت من جديد العبادة بالروح والحق (يو ٤: ٢٤) التي لا يهم كمُّها وشكلها بقدر عمقها وصدقها. مع هذا فالكمُّ والوفرة والشكل لن يكونوا عاملاً سلبياً إذا اقترنوا بالروح والفهم.

+ بالطبع، فإنَّ **الصلاة** القصيرة المنسكبة بالروح من أعماق القلب أفضل بما لا يُقاس من صلاة طويلة صادرة من الشفاه والذهن شارد. ولكن هذا ليس مُبرِّراً للقبول بالصلوات السريعة والرضا بها دون السعي، ولو بالتغصُّب، لإطالة الوقوف قدَّام الله دون التنازُل عن انحصار الذهن والقلب، حتى تتعوَّد النفس أن تسعد وتشتاق إلى وقفة الصلاة التي تليق بالله كمّاً وكيفاً.

+ وإذا كُنَّا نُلاحظ أن أكثر الناس يُرحِّبون **بالأصوام** القصيرة متنوعة الطعام (كصوم العذراء) التي قد تَعبُر دون تغيير يُذكَر للحياة، ولكن بالتأكيد فإنَّ الفائدة الروحية تتعاظم بالأصوام الطويلة الملتحفة بروح النعمة.

+ وفي مجال **العطاء**، فإن كان الرب قد احتفى بفلسَي الأرملة، لأنهما كانا كل ما تملك، ورأى أنها ألقت أكثر من جميع الأغنياء، فإنَّ الكتاب يحثُّ أيضاً

على سخاء العطاء (٢كو ٨: ٢،٣) عارفين أننا نُعطي الله من يده (١أي ٢٩: ١٤).

+ ليس حسناً الاكتفاء بالقليل الذي حفظناه من **كلمة الله** في بواكير حياتنا، ومن الحكمة أن نعوِّض ما فات بالإقبال النشط على الكتاب نستعيد صحبته، وكلما عرفنا أكثر **فاض نوره** علينا فنسير ولا نتعثَّر.

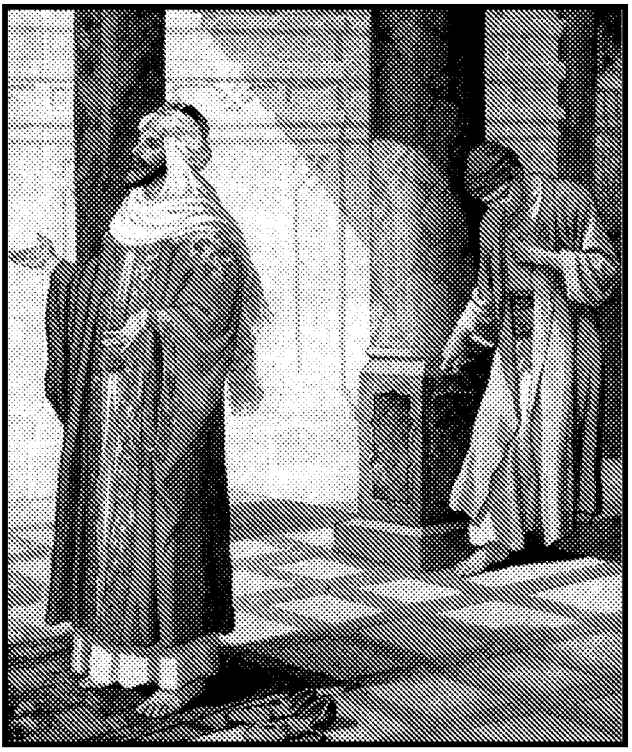

"وأما العشار فوقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني، أنا الخاطئ" (لو١٨: ١٣)

(انظر ص ١١٦)

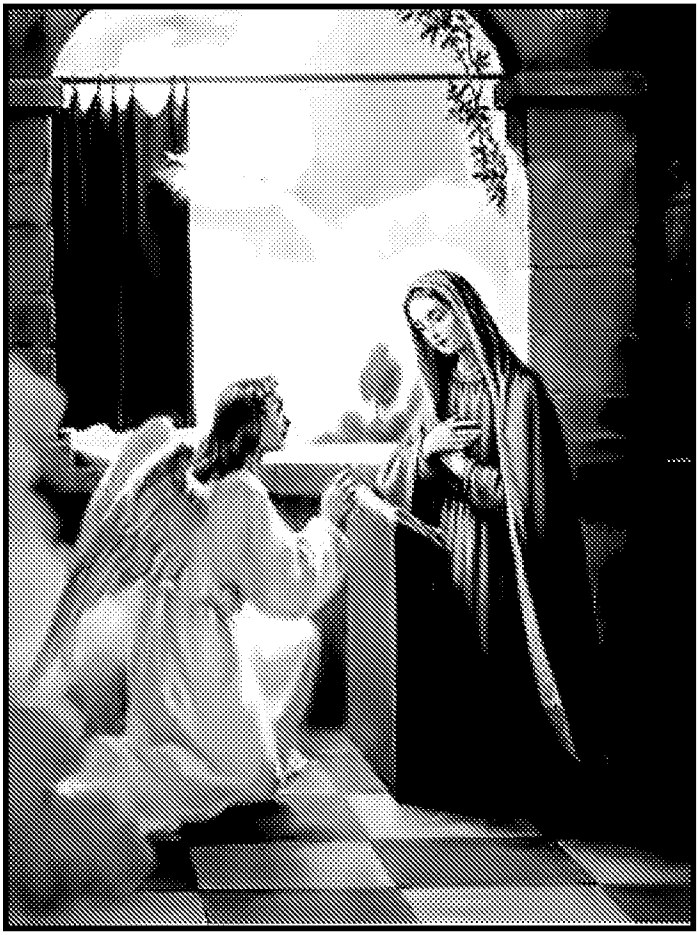

"**هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك**" (لو١: ٣٨)

(انظر الصفحة المقابلة)

في العلاقة مع الله

- طاعة الله
- حضور الله
- مخافة الله

طاعة الله

أول ما نلتقي **بالقديسة مريم** مع أُولَى خطواتهـــا في الإنجيـــل، نراهـــا في الناصرة، وقد دخل عليها الملاك جبرائيل يحمل لها التكليف الإلهي بتلك المهمة غير المسبوقة المتعلِّقة بخلاص البشر، بأنْ تحبل وتلد ابن الله، وهي العذراء التي لم تكن تعرف رجلاً. ولكنها، وقد حلَّ عليها الروح القدس وظلَّلتها قوة العليِّ؛ انحنت أمام الإرادة الإلهية، وصدَّقت وأطاعت أَمْر الله قائلة للملاك: **"هوذا أنا أَمةُ الرب. ليكن لي كقولك"** (لو ١: ٣٨)(+) فصارت نموذجاً بـــاهراً لنـــا في **طاعة الله.**

❁ ❁ ❁

وطاعة الله تُمارَس عمليـــاً بحفـــظ وصـــاياه أي **"طاعـــة الإنجيـــل"** (رو ١٠: ١٦؛ ٢تس ١: ٨؛ ١بط ٤: ١٧)، و**"طاعة الحق"** (١بط ١: ٢٢)

(+) إنجيل قداس الأحد الثاني من شهر كيهك (لو١: ٢٦-٣٨).

بالفكر والقلب (رو ٦: ١٧). كما تتضمن أيضاً القبول بتكليفات الله، والرضا بالتألُّم من أجل اسمه (في ١: ٢٩)، والخضوع الواثق أمام التجارب التي يسمح بها الله لدعم الإيمان.

+ وكلمة الله تحثُّنا على طاعته: **"طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه"** (لو ١١: ٢٨)، **"ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس"** (أع ٥: ٢٩). وكانت آخر كلمات الرب لتلاميذه قبل صعوده: **"وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به"** (مت ٢٨: ٢٠).

+ ووصايا الله هي غذاء النفس والروح: **"الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة"** (يو ٦: ٦٣)، وخلال مسيرة الحياة هي السراج ونور السبيل (مز ١١٩: ١٠٥)، وهي خارطة الطريق المؤدِّي إلى الحياة الأبدية (مت ٧: ١٤)، ومِن هنا فإنَّ في طاعتنا لها ضمان نمونا في الروح وسلامة مسيرتنا نحو الخلاص الأبدي.

+ وطاعة الله هي دليل صادق على إيماننا بالله ومحبته، كما تشهد بذلك كلمات الكتاب:

"إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي... الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني... الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي... أنتم أحبَّائي إنْ فعلتم ما أُوصيكم به" (يو ١٤: ١٥،٢١،٢٤؛ ١٥: ١٤)؛

"بهذا نعرف أننا قد عرفناه (أي أن نؤمن به ونتبعه) **إنْ حفظنا وصاياه. مَن قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذبٌ وليس الحق فيه... فإنَّ هذه هي محبة الله: أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة"** (١يو ٢: ٣،٤؛ ٥: ٣).

وعلى العكس، فإنَّ عصيان الوصية والتحلُّل منها هو إنكار صريح للإيمان ورفض لتبعية الله، وهو في حقيقته اختيار أحمق لأنه يعني خيانة مَن أحبنا، وفيه نفقد النور الهادي فنتخبَّط في الكلام ولا نعرف إلى أين نمضي! وإذا لم نستجب لصوت الروح بالتوبة، فهي النهاية الأليمة.

■ عن طاعة الوصية:

(١) **طاعة الوصية** تفترض بالطبع أن نعرف الوصية أولاً. وصوت الرب لكل واحد أنْ **"احفظ الوصايا"** (مت ١٩: ١٧). والرب أجاب الناموسي عمَّا يفعله ليرث الحياة الأبدية، فأحاله إلى ما هو مكتوب في الناموس: **"كيف تقرأ؟"** (لو ١٠: ٢٥،٢٦). وهذا يعني أن تصير كلمة الله لهجنا كل يوم، فنعرفها ونحفظها ونطيعها، وهكذا ينفتح أمامنا طريق الحياة. وعلى هذا فالمتغرِّبون عن الكلمة لا يشغلهم أمر طاعتها.

(٢) لأن الخضوع للوصية هو ضد الذات والاعتداد بالنفس (فأنّى للمتكبر – مثلاً – أن يغفر ويسامح أو أن يعتذر!). فإن أول المتطلبات لإمكان طاعة الوصية هو الاتضاع وإنكار الذات: **"إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه (كل يوم) ويتبعني"** (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣)، وهذا يقتضي خضوعاً بالتوبة وتوسُّلاً صابراً يُغيِّر الحياة.

(٣) **طاعة الوصية** يجب أن تكون مطلقة وثابتة (أي ليست مزاجية)، وبتسليم كامل للمشيئة، دون أية محاولة للالتفاف حول الوصية أو تحويرها أو البحث عن حلول وسط لإمكان تنفيذها.

(٤) **طاعة الوصية** ليست مجرد سماع الوصية وترديدها بالشفاه، أو أن تكون الطاعة ظاهرية مُرائية مع عصيان مستتر في القلب؛ وإنما العمل بها وتنفيذها من القلب (رو ٦: ١٧). وكلمات الكتاب واضحة: **"ليس كل مَن يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات"** (مت ٧: ٢١؛ لو ٦: ٤٦)، **"كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم... ولكن مَن اطَّلع على الناموس الكامل، ناموس الحرية، وثبت، وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة، فهذا يكون مغبوطاً في عمله"** (يع ١: ٢٢،٢٥).

وفي **مَثَل الابنين**، فإنَّ الرب امتدح الذي رفض أولاً ولكنه تبع أخيراً، وفضَّله عن أخيه الذي رحَّب بالأمر في البداية ولكنه مضى ولم يذهب إلى الكَرْم (مت ٢١: ٢٨-٣٢).

(٥) نحن نحتاج إلى **عمل النعمة** لكي نفهم أبعاد الوصية ونفلح في تنفيذها. والرب سبق وعلَّمنا أنه: **"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو ١٥: ٥). وفي حديثه مع تلاميذه بعد قيامته **"فَتَحَ ذهنهم ليفهموا الكُتُب"** (لو ٢٤: ٤٥). وقال للقديس بولس الذي كان يُعاني من شوكة في جسده: **"تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكْمَل"** (٢كو ١٢: ٩). وفي الحقيقة فإنَّ كل الوصايا مستحيلة بدون قيادة ومُشاركة نعمة الله وقوته، وهي مُمكنة بل ومقبولة بفرح فقط بمعونة إلهية. هكذا كتب القديس بولس فيما بعد: **"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقويني"** (في ٤: ١٣).

نعم، في المسيح يسوع وعمل نعمته فقط، يمكن أن تُطاع وتُنفَّذ كل الوصايا، خاصة تلك التي جاء بها عهد الله الجديد: **"تحب الرب إلهك من**

كل قلبك. تحب قريبك كنفسك. أحبُّوا أعداءكم. لا تُقاوموا الشر. لا تنتقموا لأنفسكم. لا تدينوا. اغفروا. لا تحبُّوا العالم. مَن سألك فأعطِه. لا تهتموا للغد. كُن أميناً إلى الموت. افرحوا كل حين. صلُّوا بلا انقطاع"، وغيرها. والرب عندما أوصانا – مثلاً – ألاَّ نخاف، كشف لنا عن السرِّ، وهو أنه لا مجال للخوف، لأن الرب يكون رفيقنا: **"لا تخف لأني معك"** (تك ٢٦: ٢٤؛ إش ٤١: ١٠؛ ٤٣: ٥).

والحقيقة أيضاً أن الوصية تحمل قوة تنفيذها، لأنها مكتوبة بالروح القدس (٢بط ١: ٢١)، وهي لا تنفصل عن قائلها "كلمة الله"، وهي تُنفَّذ من خلاله: **"المسيح يحيا فيَّ"** (غل ٢: ٢٠).

(٦) الوصايا تؤخذ ككل. فلا تُقبل وصايا على أنها ممكنة، وتُترك أخرى على أنها غير ملائمة أو عسيرة التنفيذ. فالوصايا تتكامل ولا يمكن أن تتناقض، وهي تُفسِّر بعضها بعضاً. فوصية **"لا تدينوا"** (مت ٧: ١؛ لو ٦: ٣٧) العامة، التي تنهاني عن الحُكْم على الآخرين وإدانتهم، لا تتعارض مع واجب الأب والأُم والأسقف والراعي أن يُوبِّخ وينتهر ويعظ بكل أناةٍ وتعليم (٢تي ٤: ٢) دون تجاوز، من أجل خلاص مَن هو مسئول عنهم، دون أن يغفل بالطبع عن إدانة نفسه عندما يُخطئ.

(٧) الوصية تُنفَّذ بروحها لا بحرفها: **"لأن الحرف يقتل، ولكن الروح يُحيي"** (٢كو ٣: ٦)، ذلك أن التوقُّف عند حدود النص والحرف دون إدراك روح الوصية واتصالها بسائر الوصايا، قد يُفقد الوصية المقصود منها. فالعبادة ينبغي أن تكون بالروح والطاعة القلبية، لا بالممارسات الآلية لحساب الذات والناس، بالكلام والشكل وحركات الجسد والغطاء المادي والقلب غائب:

"**فلو علمتم ما هو: إني أُريد رحمةً لا ذبيحة**" (هـو ٦: ٦؛ مـت ٩: ١٣؛ ١٢: ٧)، "**ويل لكم... لأنكم تُعشِّرون النَّعْنَع والشِّبِث والكمُّون، وتركتم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك**" (مت ٢٣: ٢٣)، "**يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه، ويُكْرِمُني بشفتيه، وأمَّا قلبه فمبتعد عني بعيداً**" (إش ٢٩: ١٣؛ مت ١٥: ٨؛ مر ٧: ٦). وهكذا قال صموئيل النبي للملك شاول الذي لم يلتزم بوصية الله: "**هل مسرَّة الله بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش**" (١صم ١٥: ٢٢).

(٨) طاعة الوصية تقتضي التخلِّي بغير رجعة عن السلوك القديم والحياة بالتوبة والقداسة والطهارة. هكذا أوصى القديس بطرس المؤمنين الذين أطاعوا الإيمان: "**كأولاد الطاعة لا تُشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم... كونوا أنتم أيضاً قدِّيسين في كل سيرة... طهِّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء**" (١بط ١: ١٤،١٥،٢٢).

■ عن الذين أطاعوا:

+ **يسوع** هو مثالنا الذي تركه لنا لكي نتبع خطواته. فهو القائل: "**نزلتُ من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني**" (يو ٦: ٣٨)، وقال للآب وهو يتجرَّع كأس آلامه: "**لتكن لا إرادتي بل إرادتك**" (لو ٢٢: ٤٢)، ومكتوب عنه: "**إذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب**" (في ٢: ٧،٨)، "**الذي في أيام جسده، إذ قدَّم بصراخ شديد ودموع، طلبات وتضرُّعات للقادر أن يُخلِّصه من الموت، وسُمِعَ له من أجل تقواه، مع كونه ابناً تعلَّم الطاعة مِمَّا تألم به**" (عب ٥: ٧،٨).

+ **نوح** الذي **"فعل... حسب كل ما أمره به الرب"** (تك ٦: ٢٢؛ عب ١١: ٧)، فنجا هو وعائلته وحدهم من الطوفان.

+ **إبراهيم** الذي كان مُستقرّاً في أرضه، ولكنه أطاع أَمْر الرب، مؤمناً واثقاً دون تردُّد: **"اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك، فأجعلك أُمَّة عظيمة... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب"** (تك ١٢: ١-٤)، **"بالإيمان إبراهيم لما دُعِيَ، أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي!"** (عب ١١: ٨)

كما أطاع **إبراهيم** أيضاً أَمْر الله أن يُقدِّم وحيده مُحرقة: **"يا إبراهيم... خُذْ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق، واذهب إلى أرض المُريَّا، وأصعده هناك مُحرقة على أحد الجبال... فبكَّر إبراهيم صباحاً... وأخذ... إسحق ابنه، وشقَّق حطباً لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله"** (تك ٢٢: ١-١٩)، **"بالإيمان قدَّم إبراهيم إسحق وهو مُجرَّب، قدَّم الذي قَبِلَ المواعيد، وحيده، الذي قيل له: "إنه بإسحق يُدعَى لك نسلٌ". إذ حَسِبَ أنَّ الله قادرٌ على الإقامة من الأموات"** (عب ١١: ١٧-١٩).

+ **يوسف**، وهو عبد في بيت فوطيفار، تمسَّك بطاعة الوصية، دون أن يحسب حساباً للعواقب وهو يعصى أَمْر امرأة سيِّده قائلاً: **"كيف أصنع هذا الشر العظيم وأُخطئ إلى الله؟"** (تك ٣٩: ٩).

+ **أيوب** الذي ظلَّ متمسِّكاً بطاعة الله، رغم كل ما سمح له به من آلام في جسده، وما أصاب عائلته.

+ **الفتية الثلاثة** الذين رفضوا أن يسجدوا لتمثال الملك، وألقوا بهم في أتون النار؛ فرافقهم فيها ابن الله، والنار لم تمس حتى شعرهم وثيابهم.

+ **دانيال** الذي رفض أن يسجد للتمثال وظلَّ يُجاهر بعبادته لله، وكان عقابه أن يُلقَى في جُب الأسود. ومن أجل طاعته، أرسل الله ملاكه فسدَّ أفواه الأسود، فلم تؤذه (دا ٦: ٢٢).

+ **والقديس بولس**، لما جاءته الدعوة من السيِّد، يقول: **"للوقت لم أستشِرْ لحماً ودماً"** (غل ١: ١٥)، ولم يُعاند الرؤيا السماوية.

+ **والقديس أنطونيوس** لما سمع في الكنيسة الآية: **"إنْ أردتَ أن تكون كاملاً، فاذهب وبِعْ كل أملاكك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتبعني"** (مت ١٩: ٢١؛ مر ١٠: ٢١؛ لو ١٨: ٢٢)، اعتبرها موجَّهة إليه شخصياً ونفَّذها حرفياً، واعتزل في البراري مُكرِّساً حياته لله؛ فاجتذب إليه الكثيرين، وصار أباً لجميع الرهبان في كل العالم.

■ بركات الطاعة وعاقبة العصيان:

مكتوبٌ أنَّ المسيح إذ أطاع حتى الموت من أجل الخطاة فقد **"رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة مِمَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أنَّ يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب"** (في ٢: ٩-١١)، **"وإذ كُمِّلَ صار لجميع الذي يُطيعونه، سببَ خلاصٍ أبدي"** (عب ٥: ٩). ووعْد الرب لا يسقط، أنَّ **"مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياةٌ أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة"** (يو ٥: ٢٤).

نحن بطاعة الله نثبت في محبته (يو ١٥: ١٠)، فنتمتَّع بالسلام، ويُترع منَّا كل قلق وخوف، كبيت مبني على الصخر يُقاوِم كل اضطرابات الحياة (مت ٧: ٢٤،٢٥؛ لو ٦: ٢٤،٢٥). ومنذ القديم مجَّد الله طاعته وأدان كل عصيان: **"انظر، أنا واضعٌ أمامكم اليوم بركة ولعنة: البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أُوصيكم بها اليوم، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم"** (تث ١١: ٢٦-٢٨). وهو خاطب إسرائيل بعد خبرة ممتدَّة في وصية فريدة سجَّلها سفر التثنية في أصحاح كامل (٢٨)، وقد استغرقت **البركة** الأعداد ٢-١٤، **واللعنة** الأعداد ١٥-٦٨.

وفي تاريخ العلاقة بين الله والبشر رأينا جزاء الذين تجاسروا، أو تكاسلوا وتهاونوا، فلم يُطيعوا. فلا ننسى ما جرى **لآدم وحواء** (تك ٣: ٦،١١)، **والعالم القديم** الذي هلك بالطوفان (تك ٧: ٢٣؛ ١بط ٣: ٢٠؛ ٢بط ٢: ٥)، **وسدوم وعمورة** اللتين صارتا رماداً (تك ١٩: ٢٤؛ ٢بط ٢: ٦)، وكل **جيل شعب إسرائيل** الذين خرجوا من مصر عدا يشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة، ولم يدخلوا كنعان: **"ولَمن أقسم: لن يدخلوا راحتي، إلاَّ للذين لم يطيعوا"** (عب ٥: ٩)، **وشاول الملك** المرفوض (١صم ٢٨: ١٥)، **ويونان** الهارب من الخدمة (يونان ١: ٣)، **وشعب إسرائيل** الرافض المخلِّص، فأصاب الخراب أورشليم والهيكل (مت ٢٣: ٣٧،٣٨؛ ٢٤: ٢؛ مر ١٣: ٢؛ لو ٢١: ٦) وتشتَّتوا في كل الأرض. وشبَّه الرب مَن يسمع أقواله ولا يعمل بها بجاهل يبني بيته على الرمل، فلم يصمد أمام عصف الرياح وثورة النهر، وسقط، وكان سقوطه عظيماً (مت ٧: ٢٦،٢٧؛ لو ٦: ٤٩).

+ من مراحم الله أنه يُتيح لنا التدرُّب على الطاعة، خاصةً لو كان القلب لاهياً أو متقسِّياً مُتمرِّداً. فالتجربة المُرَّة أو التعرُّض للعقاب أو الهزيمة أو الفشل، الذي يسمح به الله لَمن يحب **"إني كل مَن أُحبه أُوبِّخه وأؤدِّبه"** (رؤ ٣: ١٩)؛ قد يكون له مردوده الإيجابي للعاقل، الذي يكتشف من خلاله تردِّيه وعصيانه، فيتحوَّل نادماً ناحية الله حيث نور الوصية بعد أن كان يتخبَّط في الظلام. وها هو **داود**، بعد اختباراته العديدة مع الله، يقول: **"صَمَتُّ. لا أفتح فمي، لأنك أنت فعلتَ"** (مز ٣٩: ٩). **وبطرس** اكتشف ضعفه بإنكاره المسيح وتخلِّيه عنه ساعة الصلب، وتعلَّم الدرس، وبتوبته الباكية عاد إلى موقعه.

على أنَّ التجارب ليست وقفاً على مَن يخفقون في الطاعة، فالمؤمنون الطائعون يجتازونها أيضاً. ولكن لهؤلاء يقول الكتاب: إنَّ **"الله أمين الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا"** (١كو ١٠: ١٣). وفي كل الأحوال، فإنَّ آلامنا لن تُنسى قدَّام الله، ووعد الكتاب الصريح أنه **"إن كنَّا نتألم معه، لكي نتمجَّد أيضاً معه"** (رو ٨: ١٧).

إن طاعة الله بحفظ وصاياه هي طريقنا للخلاص. ونحن كأولاد الله المؤمنين إما أن نقبل الطاعة بكل رضىً وفرح، وإما أن نبلغها من خلال الضيقة والآلام. وفي سفر الجامعة "فلنسمع ختام الأمر كله. **اتق الله واحفظ وصاياه. لأن هذا هو الإنسان كله لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفيّ، إن كان خيراً أو شراً"** (جا٢: ١٣، ١٤).

حضور الله

وجـــود الله هـــو أولى حقائـــق الإيمان. ففي الإيمـــان بـــالله إقـــرارٌ بوجوده: **"لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنـــه موجود، وأنـــــه يُجازي الذين يطلبونه"** (عب ١١: ٦).

ووجـــود الله ليس وجـــوداً سلبياً كأنـــه فقط "هنـــاك" أو "فـــوق" بعيداً، ولكنه حاضرٌ فاعـــلٌ في كلِّ زمانٍ ومكان. وهو يقول: **"السموات كرسيَّ، والأرض موطئ قدميَّ"** (إش ٦٦: ١؛ أع ٧: ٤٩). فهـــو يمـــلأ الكلَّ، أو كما قال عنه القديس بولس وهو يُخاطب الأثينيين في أريـــوس باغوس: **"الإله الذي خلق العالم وكلَّ مـــا فيه... إذ هـــو يُعطي الجميع حياةً ونفساً وكلَّ شيء... مع أنه عـــن كلِّ واحدٍ منَّا ليس بعيداً. لأننا بـــه نحيا ونتحرَّك ونوجَد"** (أع ١٧: ٢٤-٢٨).

■ حضور الله والتجسُّد:

قبل تجسُّد ابن الله لم يَرَ أحدٌ الله (خر ٣٣: ١٨-٢٣؛ يو ١: ١٨؛ ١تي ١: ١٧؛ ٦: ١٦؛ ١يو ٤: ١٢). وكانت إحدى علامات حضوره سماع صوته. ومكتوبٌ أنَّ الله كلَّم آدم وحواء، وقايين، ونوحاً، وأبرام (إبراهيم)، ويعقوب، وموسى وهارون، ويشوع، وجدعون، وصموئيل، وداود، وإيليا، وأليشع، وغيرهم من الآباء والأنبياء.

بتجسُّد ابن الله وحلوله بيننا (يو ١: ١٤) رأينا الذي خلقنا الله على صورته مُتجسِّداً (تك ١: ٢٦،٢٧؛ ٩: ٦؛ ١كو ١١: ٧؛ ٢كو ٤: ٤؛ كو ١: ١٥). وبه بدأ الله عهده الجديد معنا (إر ٣١: ٣١-٣٤؛ عب ٨: ٨-١٢؛ ١٠: ١٦،١٧).

وبحسب الكتاب، فإنَّ حضور الرب في بعض مواقف العهد القديم كان رهيباً، مثلما جرى عندما تسلَّم موسى لوحَي الشريعة: **"وكان جبل سيناء كله يُدخِّن من أجل أنَّ الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جدّاً"** (خر ١٩: ١٨)، وصَاحَبَه فزع الشعب (تث ٥: ٥)، وارتعاب موسى (تث ١٨: ١٩؛ عب ١٢: ١٩-٢١).

على أننا ونحن نختبر حضور الله، بعد تجسُّده، تأتينا صُوَر لُطفه وتحنُّنه واقترابه من المتألِّمين والحزانى والمساكين، وأيضاً مَن أذلَّتهم الخطية وتاهوا في دروب العالم المُظلمة. فلا مجال للخوف والارتعاب القديم، وإنما هناك الدَّالة ويقين الإيمان والاستجابة لَمن يُشجِّعنا على القدوم إليه فاتحاً ذراعيه: **"تعالوا إليَّ يا جميع المُتعبين والثَّقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم"** (مت ١١: ٢٩).

نعم، فإنَّ **"الرب قريب"** (في ٤: ٥)؛ بل قد دُعِيَ اسمه **"عمانوئيل"** أي **"الله معنا"** (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣). وهو **"بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خُطاة، مات المسيح لأجلنا"** (رو ٥: ٨).

■ حضور الله وحياتنا الروحية:

المؤمنون الحقيقيون وحدهم هم مَن يختبرون حضور الله الدائم، ويتعاملون معه كل الأيام وفي كلِّ الأحوال، ويلمسون تدخُّله في كلِّ أمور حياتهم: **"قريبٌ هو الرب من المنكسري القلوب، ويُخلِّص المنسحقي الروح"** (مز ٣٤: ٧؛ ١٤٥: ١٨)، ويتدخَّل لإنقاذهم: **"ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه ويُنجِّيهم"** (مز ٣٤: ٧)، والدعوة إلينا: **"اطلبوا الرب ما دام يوجَد. ادعوه فهو قريبٌ"** (إش ٥٥: ٦). وآخر ما قاله الرب لنا قبل صعوده: **"ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر"** (مت ٢٨: ٢٠).

والحقيقة أنَّ الوعي الدائم بحضور الله هو عماد حياتنا الروحية ونموها:

+ فحضور الله في العبادة يُجرِّدها من الآلية والشكلية وتتميمها كفرائض هي غاية في حدِّ ذاتها دون تغيير الباطن.

+ كما أنَّ إحساسنا القوي بحضور الله يحفظ قداستنا. فهو، من ناحية، يمنعنا من السقوط في شهوات الجسد والخضوع للأهواء، فتنضبط الحواس وتتوارى محبة الذات؛ ومن ناحيةٍ، يكشف ضعفاتنا ويقودنا إلى التوبة، فليست خليقة غير ظاهرة قدَّامه.

وقد كان **يوسف** عبداً في بيت فوطيفار، وأرادت سيِّدته مراراً أن يُخطئ معها، وكان البيت خالياً، وكان هو شاباً يافعاً. وكان يمكن أن يتعلَّل

بأنه لا يجرؤ على عصيان سيِّدة القصر، وأنه كعبد لا يملك من أَمره شيئاً؛ بل كان يمكن أن يفيد من هذه العلاقة. ولكن كان هناك عامل أقوى من كلِّ شيء جعله يتَّخذ قراره: كان الله حاضراً دوماً في حياته، وهو الذي ألهمه أن يقول: **"كيف أصنع هذا الشر العظيم وأُخطئ إلى الله؟"** (تك ٣٩: ٩). بالطبع فإنَّ النتائج الأولى كانت قاسية، فقد اتُّهم كذباً بالتحرُّش بسيدته بعد أن ترك ثوبه في يدها، وانحدر أكثر من مستوى العبد إلى مستوى السجين. ولكن الرب لم يتركه يُعاني نتائج أمانته والتزامه، ورتَّب له في البداية أن يتولَّى أمور السجناء قبل أن ينتقل من السجن إلى العرش، فيتشدَّد إيمانه أكثر، ويتأكَّد ولاؤه بإلهه.

+ أيضاً فإنَّ الشعور بحضور الله يمنحنا ثباتاً أمام مصاعب الحياة وتجاربها: **"جعلتُ الرب أمامي في كلِّ حين، لأنه عن يميني، فلا أتزعزع"** (مز ١٦: ٨؛ أع ٢: ٢٥)، وينتزع منَّا الخوف: **"إذا سِرْتُ في وادي ظِلِّ الموت، فلا أخاف شرّاً لأنك أنت معي"** (مز ٢٣: ٤)، **"معه أنا في الضيق. أُنقذه وأُمجِّده"** (مز ٩١: ١٥)، **"إن كان الله معنا فمَن علينا"** (رو ٨: ٣١).

■ كيف نختَبِر حضور الله الدائم؟

لا يَختَبِر حضور الله على الدوام إلاَّ النفوس التي تصالحت مع الله واستقرَّت علاقتها به. فهي قد آمنت وتُمارس التوبة وتحيا الخلاص ومحبة الله والقرب. وهي تعرف الله، لأنها تعرف كلامه وتحفظه، وتسلك بالروح، وقلبها هو بيت عنيا لسُكنَى الرب. وكل أعمالها الجسدية تُمارسها لحساب الله ولمجد اسمه. فالشعور بحضور الله هنا هو من حقائق الحياة التي لا تغيب.

وينمو هذا التوجُّه كلما نشطت مُمارسة وسائط النعمة: الصلاة، واللَّهج في كلمة الله والتأمُّل فيها، والصوم، والتوبة، والتناول، والخدمة، والقراءات الكتابية والروحية، والاجتماعات الكنسية، وخلوات الصلاة والتأمُّل، والجلوس إلى الأتقياء والمُختبرين.

وأمامنا مثال **داود الراعي** والنبي والملك الذي شهد الله عنه وقال: **"وجدتُ داود بن يسَّى رجُلاً حسب قلبي"** (أع ١٣: ٢٢)، والذي تكشف مزاميره عن نفسٍ مُتصادقة مع الله وتشعر بحضوره واحتوائه لها في كلِّ مراحل الحياة؛ بل تراه في كلِّ جوانب الطبيعة من حوله، وهي المزامير التي تتغنَّى بها الكنيسة ويلهج بها المؤمنون في صلواتهم:

"السموات تُحدِّث بمجد الله، والفَلَك يُخبر بعمل يديه" (مز ١٩: ١)؛ **"الرب راعيَّ فلا يُعوزني شيء"** (مز ٢٣: ١)؛ **"الرب نوري وخلاصي مِمَّن أخاف. الرب حصن حياتي مِمَّن أرتعب... إن نَزَلَ عليَّ جيش لن يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حرب ففي هذا أنا مُطمئن... إن أبي وأُمي قد تركاني، والرب يضُمُّني"** (مز ٢٧: ١، ٣، ١٠).

+ في البداية قد يقتصر اختبارنا لحضور الله على وقت العبادة: أي خلال الصلاة في البيت والكنيسة، وعند قراءة الكلمة، وأيام الصوم، وأثناء الخدمة بأنواعها. ثم بالنموِّ في النعمة يمتدُّ إحساسنا القوي بحضرة الله في كلِّ الأوقات: في أماكن حياتنا اليومية، في البيت والعمل والطريق وخلال أحداث كل يوم.

+ من الاختبارات المُفيدة أن نستحضر، في كل مواقف حياتنا، ممارسات المسيح أيام تجسُّده على أرضنا. فعندما نُصلِّي يسندنا مشهده وهو يقضي الليل كله في الصلاة (لو ٦: ١٢)؛ وكلما قرأنا الكتاب أو حضرنا اجتماعاً لدراسته، نسأله أن يأتي إلينا ويُلهمنا كما كان يقرأ الكتاب في مجمع الناصرة (لو ٤: ١٦)، أو وهو يُفسِّر الكتاب لتلاميذه (لو ٢٤: ٢٧، ٤٤-٤٦)؛ وكلما وقفنا في الهيكل للتناول نراه يملأ المكان، يُناولنا كما ناوَلَ تلاميذه ليلة آلامه (مت ٢٦: ٢٦-٢٨؛ مر ١٤: ٢٢-٢٤؛ لو ٢٢: ١٩، ٢٠).

وعندما نأكل أو نصنع وليمة، نذكره وهو يأكل مع العشَّارين والخطاة في بيت لاوي، ونراه على رأس الضيوف (مت ٩: ١١؛ مر ٢: ١٦؛ لو ٥: ٣٠)(١). ونحن نسير في الطريق، نراه يمشي معنا كما رافَقَ تلميذَي عمواس (لو ٢٤: ١٥). وفي نزهتنا في الحدائق، نراه معنا كما كان يسير في الحقول (يو ٤: ٣٥). وإن كُنَّا في رحلة في البحر، نراه معنا في السفينة كما كان مع تلاميذه (مت ٨: ٢٣؛ ٩: ١؛ ١٣: ٢ ضمن شواهد كثيرة). وللحِرَفيين منَّا أن يفتخروا أنَّ الرب بارَكَ كل الأعمال اليدوية الصغيرة، فهو في وسطهم كما كان يُساعد يوسف النجَّار (مت ١٣: ٥٥؛ مر ٦: ٣).

+ نحن لا نحتاج أن يَظهَر لنا الرب عياناً لكي نُدرك حضوره، وهو طوَّب **"الذين آمنوا ولم يَرَوا"** (يو ٢٠: ٢١). فنحن نؤمن أنه حاضرٌ بالروح، خاصةً عندما نجتمع باسمه: **"حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة**

(١) الناس في بلادنا عندما يُفرحهم مجيء ضيف عزيز، يقولون: "زارنا المسيح".

باسمي، فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨: ٢٠). ومع هذا فنحن يمكن أن نلتقيه في أيِّ إنسانٍ غريب، أو عابر سبيل، أو رفيق طريق أو سَفَر يحتاج إلى معونتنا أو يمدُّ لنا يد المساعدة. فقد نختَبِر حضور الرب مثلاً عندما نتعثَّر ونسقط في الطريق، فيأتي فجأةً ليمدَّ لنا يد العون (كما مدَّ الرب يده وأمسك ببطرس الذي كاد أن يغرق - مت ١٤: ٣١)، أو مَن يدفع سيارتنا التي تعطَّلت في الطريق، فعندها يصدق قول الرب المُحب: **"ادعُني في يوم الضيق، أنقذك فتُمجِّدني"** (مز ٥٠: ١٥).

في هذه المواقف، فإنَّ أمثال السامري الصالح (لو ١٠: ٣٠-٣٧) صانعي الرحمة، هم أقرب الناس للقاء المُخلِّص في مَن يُقدِّمون لهم الرحمة: **"بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم"** (مت ٢٥: ٤٠). وعندها فلننتبه، فليس الأمر مُجرَّد مُصادفات غير مقصودة، فلعل الرب يكون أمامنا أو بجانبنا وتضيع منَّا فرصة اختبار حضوره.

+ حرصت الكنيسة أيضاً على تهيئة المؤمنين للشعور بحضور الله، بإحاطتهم بكلِّ ما يُشبع حواسهم ويُجسِّد لهم حضوره وتعاليمه للصغار والكبار. فبعد أن كان اجتماع المؤمنين في البيوت وصار للكنيسة بناؤها المُكرَّس، استعادت - بصورةٍ ما - الهيكل القديم ليكون بيتاً للرب، ورسمت في شرقية الهيكل الجديد (حضن الآب) صورة المسيح الضابط الكل (البانطوكراتور)، وأزالت الحجاب الذي انشقَّ يوم الصليب (مت ٢٧: ٥١؛ مر ١٥: ٣٨؛ لو ٢٣: ٤٥؛ أف ٢: ١٤،١٥) (إعلاناً عن المصالحة بين السماء والأرض)، واستبدلت به حامل الأيقونات (أيكونستاس). وزيَّنت جدران الكنيسة بالصور

التي تُسجِّل حياة الرب منذ البشارة وحتى الصعود وحلول الروح القدس، وفي الصدارة المسيح المصلوب مُخلِّص العالم، ومن حوله صُور خاصَّته: وفي المقدِّمة أُمه العذراء، والملائكة، والتلاميذ الاثني عشر، والرسل، والشهداء. وإذ يتناغم هذا كله مع كلمات الكتاب وصلوات القدَّاس والتسابيح والألحان والبخور والأنوار، يَتمثَّلها القلب والوجدان والروح بحضور الله لتصير الكنيسة قطعةً من السماء.

+ وعلى نفس النَّهج يُحيط المؤمنون أنفسهم في بيوتهم بما يُذكِّرهم دوماً بحضور الرب، فيضعون صورة عشاء الرب مع تلاميذه في غُرفة الطعام، وصورة الرب وهو يُصلِّي (على الجبل أو في جثسيماني) في المخدع، إضافةً إلى علامة الصليب والآيات المُلهِمة المناسبة في أنحاء البيت؛ بل ويمتدُّ الأَمر لتوضع الصلبان والأيقونات في السيارة والمدرسة والمستشفى لحصر الذهن بحضور المسيح في كلِّ مكان بما يمنح القوَّة والمعونة والتعزية والرجاء.

■ الذين لا يشعرون بحضور الله:

مع أنَّ الله **"عن كلٍّ واحدٍ منَّا ليس بعيداً"** (أع ١٧: ٢٧)، فهناك مَن لا يشعرون بحضور الله. هؤلاء هم المُتغرِّبون عنه الذين استبعدوا حضوره في حياتهم.

+ بين هؤلاء مَن تسلَّطت عليهم الخطية وشهوات العالم. وهم ليس فقط لا يشعرون بحضور الله، بل إنهم يتفادونه لأن ذِكْرَه يُبكِّتهم. والشاب الغَني لم تَكفِه النوايا الطيِّبة، فلما رأى أنَّ تبعية الرب ستُكلِّفه أمواله التي مَلكَته، مضى حزيناً وأفلتت منه فرصة الحياة.

وكان الرسول بولس، وهو يُحاكَم، واقفاً أمام فيلكس الوالي يُحدِّثه عن الإيمان بالمسيح، **"وبينما كان** (بولس) **يتكلَّم عن البرِّ والتعفُّف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلكس، وأجاب: "أمَّا الآن فاذْهَبْ، ومتى حَصَلْتُ على وقتٍ أستدعيك"** (أع ٢٤: ٢٥). ففيلكس لم يكن مُستعدّاً أن يتخلَّى عن فساده، وتهرَّب من دعوة الله.

+ وبين هؤلاء أيضاً العقليون الجامدون المعتدُّون بفكرهم أصحاب القلوب الجافة الباردة. والعقل في الأساس نعمة إلهية لا تُضاد الحياة مع الله. والقديس بولس في حديثه عن المواهب الروحية يقول: **"أُصلِّي بالروح، وأُصلِّي بالذهن أيضاً. أُرتِّل بالروح، وأُرتِّل بالذهن أيضاً"** (١كو ١٤: ١٥).

فالعقل شريكٌ في العمل الروحي، وإلاَّ صارت عبادتنا آلية وكلاماً مُرسَلاً بغير فَهْمٍ. ولكن عندما يستولي العقل على الكيان، ويستبعد مشاعر الروح والتأمُّل في الله ويراها أوهاماً وخرافاتٍ وتحليقاً في الخيال؛ لن يعرف صاحبه للتوبة مكاناً، غير مُدركٍ قصوره ومحدوديته. وحتى لو غلبته يوماً المشاعر الروحية التي أودعها الله في الإنسان، يتعالَى عليها استكباراً وعبادة للذات.

+ على أنَّ هناك الكثيرين من المؤمنين، الذين رغم يقينهم بوجود الله في كلِّ زمانٍ ومكان، يتصرفون في أحيانٍ كثيرة وكأنه ليس هناك. هُم فقط ينتبهون إليه ساعة الاحتياج: عندما يقعون في ضيقة، أو عندما تُلاحقهم الأزمات، أو يقترب الامتحان. وكما نرى فعلاقتهم بالله نفعية مؤقتة لا تليق

(مثل الذين كانوا يتبعون الرب كي يشبعوا من الخبز – يو ٦: ٢٦)، ولن ترقَى إلى ما وهبه الله لنا إلاَّ عندما يَختَبِر هؤلاء الإيمان الحقيقي الذي يُفعِّله الروح القدس، ومعه محبة الله من كلِّ القلب، فيُدركون شركة الله كل الحياة.

+ وإذا كان هناك من المؤمنين مَن يحصرون حضور الله فقط وقت العبادة، فهؤلاء على الطريق، وبدوام الاقتراب من الله سوف يختبرون حضوره أكثر فأكثر.

أمَّا الذين لم يختبروا الخلاص والحياة الجديدة، فحتى إنْ جاءوا للكنيسة، ستكون عبادتهم سطحية شكلية استُبعِد منها الله. وينطبق عليهم كلام الكتاب: **"هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه، وأمَّا قلبه فأَبعدُه عني"** (إش ٢٩: ١٣؛ مت ١٥: ٨؛ مر ٧: ٦). والمشكلة أنَّ هذه العلاقة الوهمية تُعسِّر عليهم التوبة (فهُم لا يرون أنفسهم خُطاة بعيدين)، بينما قد تكون التوبة مُتاحة أكثر للخاطئ الصريح، إذا افتقدته النعمة وتَواجَه مع الله.

+ ويبقى منقسمو القلب الذين يعرجون بين الفرقتين، ويسعون لإرضاء الكل، فلا يُرضون أحداً. ولهم يقول الرب: **"لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيِّدين، لأنه إمَّا أن يُبغِضَ الواحد ويُحِبَّ الآخر، أو يُلازم الواحد ويحتقر الآخر"** (مت ٦: ٢٤). وعنهم يقول مُعلِّمنا يعقوب: **"رَجُلٌ ذو رأيَيْن هو مُتقلقل في جميع طُرُقه"** (يع ١: ٨). ولابد لهؤلاء أن يُدركوا عُقم هذا النَّهج وفشله، ويتوقَّفوا عنه، ويتوجَّهوا بكلِّ قلبهم إلى الله. وبغير ذلك سيظلُّون غرباء عن الله مهما توهَّموا، ولن يختبروا يوماً حضوره.

كيف نسلك في حضور الله؟

بالطبع فإنَّ الذين يسلكون حسناً في حضور الله هم الـذين يختـبرون حضوره بالفعل، فتملأهم المخافة والخشوع والفرح.

ويمكن القول إنَّ أكثر الناس يُدركون حضور الله في الكنيسة، تُساندهم في ذلك رؤيـا الصليب والأيقونـات والأنوار، وتملأ أسماعهم الصلوات والألحان. مع هذا، ففي الاعتياد على هذا الجو المُحيط ما يجعله مع الوقت يفقد تأثيره.

الاختبـار الحقيقي، هـو الإحسـاس الدائـم بحضـور الله بغـير حاجـة إلى إشباع الحواجـز الجسدية. وآباء البريَّة الأوائل الذين تركـوا المدينة إلى البريَّة الخالية، عاشوا مـع الله وملائكته، ولم يكن هناك كنيسة مزينة أو أيقونات، بل كان اختبارهم صادقاً، وقد انفصلوا عـن الكـلِّ والتصقوا بالواحد.

■ مع الله في المخدع:

السلوك بالخشوع والمخافة في حضور الله، يبدأ في المخـدع حيـث لا يوجد آخرون نحرص أن نبدو أمامهم أتقياء، وهو ما يحدث من الكثيرين، إذ ينصرف جانب مـن وعيهم إلى الناس مـن حـولهم حـتى ولـو لم يقصدوا. والربُّ حذَّرنا من أن نُقدِّم صلاتنا أمام الناس لكـي نكتسـب رضاهم، وقال لكـلِّ مؤمـن: **"وأمَّـا أنت فمتى صلَّيتَ، فـادخُلْ مخدعك وأَغلق بابـك، وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء"** (مت ٦: ٦).

فمستوانا الروحي الحقيقي تعكسه صلواتنا الفردية، التي لا يهمُّ طولها بقدر عُمْقها الروحي وصِدْقها وما يملأها من محبة الله.

■ مع الله في الكنيسة:

الذين يختبرون حضور الله في المخدع، يسهل عليهم اختبار حضوره في اجتماعات الكنيسة كأنهم يقفون وحدهم أمام الله ولا يَرَوْنَ أحداً غيره. والذهن يُشارِك الروح في الصلوات بغير انقطاع. ووقت القداس تظلُّ عيونهم مُثبَّتة على الهيكل، أو مُغمضة سابحة في السماويَّات، ويبلغون قمة انحصارهم في الله ساعة التناول كأنهم في علِّيَّة صهيون، والرب يُقدِّم لهم جسده ودمه كما لتلاميذه.

وفي الذهن كلمات الكتاب: **"ببيتك تليق القداسة، يا رب، إلى طول الأيام"** (مز ٩٣: ٥). أو ما جاء في قِطَع الأجبية (صلاة الساعة الثالثة): **"إذا ما وقفنا في هيكلك المُقدَّس، نُحسَب كالقيام في السماء"**.

والكنيسة، من جانبها، توالي تنبيه المؤمنين خلال القدَّاس أن يرفعوا قلوبهم وأذهانهم إلى فوق، وأن يمتلئوا بمخافة الله: **"قفوا بمخافة الله وانصتوا لسماع الإنجيل المقدَّس"**؛ **"فلنقف حسناً. لنقف بتقوى. نقف بسلام. نقف باتصال. نقف بخوف الله ورعدة وخشوع"**؛ **"اسجدوا لله بخوفٍ ورعدة"**، **"أحنوا رؤوسكم للرب"**، فيردُّون: **"نسبحك. نباركك. نشكرك، يا رب، ونتضرَّع إليك يا إلهنا"**؛ **"نسجد لك أيها المسيح إلهنا مع أبيك الصالح والروح القدس"**.

ومع الشعور الجارف بحضور الله، وهم ينطقون هذه الكلمات بفهمٍ، يملأهم الخشوع والمهابة، فيكون سجودهم بالروح بحسب قول الرب: **"الله روح. والذين يسجدون له، فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا"** (يو ٤: ٢٤)، فهُم ساجدون جسداً وقلباً وروحاً.

وخُدَّام الكنيسة من الكهنة والشمامسة هم المثال في الروحانية والخشوع والحفاظ على السلام. ويلزم أن تنضبط حركتهم، وأن يؤدّوا كل الطقوس والصلوات والألحان بفَهْمٍ و**"بلياقة وبحسب ترتيب"** (١كو ١٤: ٤٠).

+ والخشوع الذي يُلازِم الصلوات الليتورجية مطلوبٌ أيضاً في صلوات سائر الأسرار (المعمودية، ومسحة المرضى، والزيجة، والرسامات الكهنوتية)، فتتجرَّد المُمارسات كلها من الاستخفاف والعَجَلَة أو الهَرَج كأننا في حفلٍ أو وليمة.

وعند الوقوف أمام أب الاعتراف، فالتائب إذ يُوقِن أنه أمام الله الذي يغفر الخطايا، يقف خاشعاً متأسِّفاً على خطيته (متمثِّلاً بالعشَّار والمرأة الخاطئة) دون أن يجتهد في تخفيفها أو تبريرها (كما حاول آدم وقايين)، لأن **"كل شيء عُريانٌ ومكشوفٌ لعينَي ذلك الذي معه أَمرُنا"** (عب ٤: ١٣). فذبائح الله المقبولة **"هي روح مُنكسرة"** (مز ٥١: ١٧).

■ مع الله عند قراءة الكلمة:

عند قراءة الكلمة، نحن نكون في حضرة الله. يستحق الأمر، إذاً، أن نستجمع كل فكرنا وتركيزنا وجدِّيتنا، وأن نقرأ بتمهُّل وفَهم وخشوع. وإذا كانت القراءة في اجتماعٍ للمؤمنين، يلزم الهدوء والإنصات والمخافة، ولا يليق الشرود أو المرح الذي يُفتِّر الروح. فنحن في لقاءٍ مع الله في كلمته التي يقول عنها الكتاب إنها **"حيّةٌ وفعَّالةٌ وأَمضى من كلِّ سيفٍ ذي حَدَّيْن، وخارقةٌ إلى مَفْرَق النفس والروح والمفاصل والمِخَاخ، ومُمَيِّزة أفكار القلب ونِيَّاته"** (عب ٤: ١٢).

■ مشاهد سلبية:

بالطبع لا تخلو حياتنا الخاصة والكنسية من مثالب تكشف أننا بتصرُّفاتنا لا نعي حضور الله، ونذكر بعضها كي ننتبه حتى لا يغلبنا الحرف **"الذي يقتل"** (٢كو ٣: ٦) ، وشكلية العبادة:

+ فقد يقود التعوُّد والتكرار، خلال الصلاة الفردية أو القدَّاس، أن تفقد الكلمات معانيها وتأثيرها (حتى الصلاة الربِّيَّة، وطلبات مثل كيرياليسون - يا رب ارحم - التي تتكرَّر كثيراً).

وقد يغلب الطقس على الروح، ويُتقَن اللحن بغير فَهمٍ لكلماته (خاصة لو كانت بالقبطية أو اليونانية). وقد تؤدَّى الصلوات والتسابيح بعَجَلَةٍ تحت ضغط الالتزام بالوقت، وتصير العبادة آلية بغير روح، وتتحول كل الأفعال الروحية إلى نشاطاتٍ جسدية، وهنا يقول مُعلِّمنا يعقوب الرسول: **"فلا يَظُنَّ ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب"** (يع ١: ٧).

ويقول القديس بولس: **"أُصلِّي بالروح، وأُصلِّي بالذهن أيضاً. أُرتِّل بالروح، وأُرتِّل بالذهن أيضاً"** (١كو ١٤: ١٥). فبغير مُتابعة الذهن في الصلاة والتسبيح، وتوفُّر الحُب والخشوع؛ يتحوَّل الأمر إلى مُجرَّد أصواتٍ في الفراغ ("... **نُحاساً يَطِنُّ أو صَنْجاً يرنُّ**" -١كو ١٣: ١). ففي كلِّ جوانب العبادة، نحتاج أن نتوسَّل إلى الروح كي يهبنا أن نسلك كما يليق في حضرة الله.

+ وقد تتراجع المخافة لتسود الجسارة والتسيُّب، فيخرج الشمامسة ويدخلون بغير مُقتَضٍ؛ بل وأثناء أقدس لحظات القدَّاس، ودون رادعٍ. ويجيء الناس إلى الكنيسة ويُغادرون في أيِّ وقتٍ(٢) كأنه طريقٌ عام. وعند النداء بالسجود، يستجيب أكثر الناس بالجلوس للراحة دون أن يُخالجهم أدنى شعور بالذنب. ويتقدَّمون للتناول بغير تهيُّب، ودون استعدادٍ بالتوبة. ويبلغ الهَرَج مداه في ليالي الأعياد، حيث يغيب النظام مع الازدحام(٣)، ويتحوَّل القدَّاس إلى مُناسبة اجتماعية، يسهُل خلالها الكلام والضحك والتحيَّات، ويخفُت فيها صوت الصلاة.

+ حَدِّث ولا حرج عن صلوات الإكليل في مُعظمها. فأكثر المدعوِّين لم يأتوا للمشاركة في الصلاة في هذا السرِّ الكنسي، وليطلبوا من أجل

---

(٢) في القرون الأُولى، كانت الكنيسة بعد صلاة الصُّلْح، إذ يخرج الموعوظون، تُغلق أبوابها، فلا يدخل أو يخرج أحدٌ إلاَّ بعد أن ينتهي القدَّاس.

(٣) الازدحام بالفعل يعوق الصلاة التي تتطلَّب الهدوء وحدّاً أدنى من المساحة لكلِّ شخص كي يُصلِّي. والكنائس الصغيرة، قليلة العدد (مثل كنائس مصر القديمة)، تُتيح اقتراباً أكثر من الله، وسلوكاً يمتلئ بالخشوع. وينال بركة مضاعفة.

هـذه الكنيسة الصغيرة الجديدة؛ وإنما لحضور المناسبة، وتهنئة العروسَيْن، ولقاء الأقارب والأصدقاء، وتقديم الهدايا(٤).

وأقل القليل، على كلِّ حالٍ، مَن يرفعون قلوبهم، ويشعرون بحضور المسيح في مثل هذه المناسبات التي يغلب فيها التحرُّر من القيود، ويُنتَهَك الخشوع واحترام المقادس.

الفرح الاجتماعي المُلازِم للمناسبة مقبولٌ في حدودٍ، ولكن لا يليق أن يُقحَم الهَزْل ضمن الصلوات وطقوس السر كما يفعل البعض، خاصةً عند توجيه الوصية للعروسَيْن.

+ بعض الكنائس، في محاولة للحفاظ على الحدِّ الأدنى من احترام بيت الله، تُلزِم العروس والمدعوِّين بالحشمة. وهناك مَن يُوزِّعون نصوص الصلوات والقراءات في كُتيِّب صغير، كي يُتابع المدعوُّون الصلاة ولا ينشغلون عنها.

+ هذا لا يعني أنَّ الخشوع يُلازمه التجهُّم والجمود، ولا يُسمَح بالفرح والبهجة والمرح البريء. بل إنَّ المرح - في أساسه - نعمةٌ، فهو يُعبِّر عن التفاؤل والرجاء، ويُزيل الجفاء بين الأزواج وبين الأصدقاء، ويضبط الغضب، ويُيسِّر الاعتذار والتسامُح والغفران.

المهم ألاَّ نتحرَّر من الالتزام في الكلمة والتصرُّف في كلِّ الظروف، سواء كانت جلسة عائلية، أو بين أصدقاء، أو رحلة، أو سَفَر، أو عُرْس، بغير تسيُّب أو انحلال. وليكُن قانوننا: **"افرحوا ولا تُخطئوا"** (على مثال: **"اغضبوا ولا تُخطئوا"** -أف ٤: ٢٦).

---

(٤) ثم حضور الحفل الصاخب فيما بعد، حيث تتوارى الحشمة أكثر، ويُباح ما لا يليق.

ولنُلاحِظ أنَّ المرح الزائد والضحك الكثير، يُفتِّر الحياة، ويُصعِّب الجدِّية والخشوع، وعلى الأخص في أوقات الصلوات الطقسية(٥).

❄ ❄ ❄

بحسب وَعْد المسيح: "هو معنا كل الأيام"، ليس فقط في مخادع الصلاة والكنيسة، ولكنه شريك الحياة الدائم في كلِّ مكان: فهو ربُّ العائلة، ضيفنا على المائدة، ورفيقنا في العمل والطريق وكل أنشطتنا اليومية الكبيرة والصغيرة. ونحن نلتقيه في كلِّ خليقته: في كلِّ مُحتاج ومُتألِّم ومُضطهَد. وهو رأس الكنيسة، وأمين الخدمة، ومُخلِّص الجميع.

فلا نسمح بدوَّامة الحياة أو آلية العبادة أن تُخفي عنَّا حضوره؛ بل لنختبر عمله فينا مع كلِّ صلاة، وكل قراءة أو سماع للكلمة، وكل اشتراك في مائدة الرب، وكل احتفال بأعياده، وكل عُرْس ومعمودية ورسامة، وكل عمل، وكل تجربة وضيقة.

فحضوره الدائم، هو سرُّ قداستنا وتقوانا، ودوام توبتنا، ونَبْع قوَّتنا، وباعث فرحنا، ومُحرِّك أشواقنا نحو الوطن الأبدي.

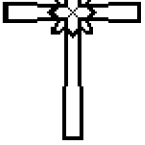

(٥) إنَّ القول: **"ساعة لقلبك، وساعة لربك"**، ليس هو قانون المسيحي. فكلُّ الساعات لله، والله حاضرٌ كل الحياة: وقت الصلاة، ووقت العمل، ووقت المرح.

مخافة الله

يتحفظ البعض أمام تعبير **"مخافة الله"** فهم يرونه متناقضاً مع **"محبة الله"**. بل إنهم يستحضرون هنا آية رسالة معلمنا يوحنا **"لا خوف في المحبة، بل المحبة تطرح الخوف إلى خارج... لأن الخوف له عذاب. وأما من خاف فلم يتكمل في المحبة.** (١يو٤: ١٨).

ويذكرون في هذا الصدد قول القديس أنطونيوس لبعض تلاميذه الرهبان إنه لا يخاف الله. ولما دهشوا لهذا القول من أبيهم الروحي، وطلبوا منه إيضاحاً قال لهم: **"لأني أحب الله والمحبة تطرد الخوف إلى خارج"**.

على أن **الرسول يوحنا** أراد أن يؤكد أن محبتنا لله تجرد علاقتنا به من الخوف الذي يسود علاقة العبد بالسيد. فالعبد لا حقوق له، وهو لا يطمئن إلى سيده، ويتوقع منه العقاب على أي حال، وليس في أعماقه غير

الرعب والفزع والتوجس مما قد تأتي به الأيام. أما بين المؤمن والله، فهناك دوماً دالة المحبة والأُلفة. نعم.. **فالمحبة تطرح الخوف إلى خارج.**

■ معنى مخافة الله:

ولتقريب المعنى للذهن، نقول أنه بحسب الوصية فنحن نكرم والدينا (خر٢٠: ١٢، تث ٥: ١٦، مت١٥: ٤، لو١٨: ٢٠، أف٦: ٢) ونوقّرهم ونطيعهم، ومحبتنا لهم تحتضن كل تصرف. فعلاقتنا بهم ليست علاقة خوف بالمعنى السلبي، ولكن فيها تهيّب وإكبار وولاء، وشعور بالامتنان على رعايتهم لنا كل الأيام. والناس تملأهم الهيبة أمام الكبار والرؤساء احتراماً وتأدباً.

ولكن مع الله، فالأمر، رغم المشابهة، يختلف كثيراً. فالله يتعالى بما لا يقاس. هو أعظم من الكل، وهو الجدير والأوْلى بالمخافة والتوقير والخشوع فوق الجميع.

فهو أصل كل شيء، ومعطي الحياة، الأزلي الأبدي، الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر (رؤ١: ٨، ٢٢: ١٣). وهو كلي الوجود، كلي المعرفة، وكلي القدرة.

+ والكنيسة في القداس تذكرنا بحقيقة الله، لئلا نغفل ونفقد مخافته، فتنادينا أثناء الصلاة أن نقف بخوف الله ورعدة وخشوع. وأن الشاروبيم يسجدون لله والسيرافيم يسبحونه صارخين قائلين: **"قدوس. قدوس. قدوس. رب الصباءوت (الجنود). السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس"** (إش٦: ٢، ٣)، كي نشاركهم نحن أيضاً السجود والتسبيح.

+ ولكن **مخافة الله** تتجرد من الرعب والفزع واستهوال الوقوف أمامه أو الاقتراب منه، لأنها مختلطة في صميمها بمحبته التي أحدرته من مجده إلى أرضنا ليذوق الموت لأجل خلاصنا وينعم على كل من يؤمن به بالحياة الأبدية (يو٣: ١٦).

وقد ضيّق الرب بتجسده البون الشاسع بين عظمة الله وضآلة الإنسان لما صار واحداً مثلنا بلا خطية (عب٤: ١٥). وعاش بيننا وعلمنا أن نخاطب الله **أبانا** (مت٦: ٩، لو١١: ٢)، وقدم نفسه المثال لكي نتعلم منه لأنه **"وديع ومتواضع القلب"** (مت١١: ٢٩). ومكتوب عن الله أنه **"رؤوف طويل الروح وكثير الرحمة"** (مز١٠٣: ٨)، **"أبو الرأفة وإله كل تعزية"** (٢كو١: ٣)، فالله هو جماع المحبة والقداسة والحق والعدل والرحمة والغفران. وداود الملك المطارَد من أعدائه يقول **"فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان"** (٢صم ٢٤: ١٤).

■ الرب يوصينا ألا نخاف غير الله:

والرب وهبنا سلامه، ووعد أن يكون دوماً معنا، وحذّرنا أن نخاف العالم المضطهِد أو أن نهتم بالغد، وعرّفنا أن نوالنا الملكوت والحياة الأبدية لهو أعظم عطية، ومن ثم فالمخافة لا تكون إلا لله وحده، وهكذا سمعنا كلمات الرب:

"أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠)؛

"سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم" (يو١٤: ٢٧)؛

"لا تخف لأني معك" (تك٢٦: ٢٤، إش٤١: ١٠)؛

"أنا هو لا تخافوا" (مت١٤: ٢٧، مر٦: ٥٠، لو٦: ١٠)؛

"لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرّ أن يعطيكم الملكوت" (لو١٢: ٣٢)؛

"لا تخف. آمن فقط" (مر٥: ٣٦، لو٨: ٥٠)؛

"ولكن أقول لكم يا أحبائي لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر. بل أريكم ممن تخافون. خافوا من الذي بعد ما يقتل له سلطان أن يلقي في جهنم. نعم. أقول لكم من هذا خافوا" (مت١٠: ٢٨، لو١٢: ٤، ٥).

+ ورغم اتساع قلب الله وقدرته على الغفران، إلا أنه لا يتساهل مع الجهلاء الذين يتعالون عليه، وها هو يرسل من يقول لعالي الكاهن الذي انحرف أبناؤه: **"والآن يقول الرب. حاشا لي فإني أكرم الذي يكرموني، والذين يحتقرونني يصغرون"** (١صم ٢: ٣٠).

■ مخافة الله ومحبته محور الحياة الروحية:

قد لا يفطن البعض إلى أن **مخافة الله** مع محبته هي محور حياة المؤمن الروحية.

+ فمخافة الرب هي أساس الاتضاع والتقوى والحكمة، كما تشهد آيات الكتاب:

"رأس الحكمة مخافة الرب" (مز١١١: ١٠)؛

"مخافة الرب رأس المعرفة" (أم١: ٧)؛

"**بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم**" (أم٩: ١٠)؛

"**مخافة الرب أدبُ حكمةٍ، وقبل الكرامة التواضع**" (أم١٥: ٣٣)؛

"**مخافة الرب بُغض الشر**" (أم٨: ١٣)؛

"**في مخافة الرب الحيدان عن الشر**" (أم١٦: ٦).

+ وتوقير الرب والسعي لإرضائه وراء طاعة وصيته، ورفض الشر، ومخافته تتناغم مع عمل نعمة الله والحياة في النور:

"**هلم أيها البنون استمعوا إليّ فأعلمكم مخافة الرب**" (مز٣٤: ١١)؛

"**سيروا زمان غربتكم بخوف**" (١بط ١: ١٧).

+ والكتاب يذكر "**خوف الله**" كسمة للأتقياء. وكان الآباء والقديسون يتصاغرون أمام الرب: **فإبراهيم** يقول "**إني شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد**" (تك١٨: ٢٧)؛ و**يعقوب** يقول "**صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك**" (تك٣٢: ١٠). و**القديس بولس** يقول عن نفسه إنه "**عبد يسوع المسيح**" (رو١: ١).

+ ويسجل لنا الكتاب كيف يخشع الآباء والقديسون في محضر الرب: **فيعقوب** يستيقظ من نومه، بعد أن رأى الله في حلم على رأس سلم ممتد بين السماء والأرض فيهتف: "**ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله. وهذا باب السماء**" (تك٢٨: ١٧). و**موسى** ملأته مخافة الرب عند رؤيته للعليقة المتقدة بالنار التي سمع منها صوت الله حتى إنه غطى وجهه (خر٣: ٦). و**التلاميذ الثلاثة** لما سمعوا صوت الآب يمجد ابنه يوم التجلي

"سقطوا على وجوههم وخافوا جداً" (مت١٧: ٦). **والقديس يوحنا** سقط على الأرض كميت عندما تواجه مع الرب في جزيرة بطمس (رؤ١: ١٧).

وعلى العكس فإن عدم مخافة الله هي من صفات الأشرار. فالقاضي الظالم وصفه الكتاب أنه **"لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً"** (لو١٨: ٤٢).

■ مخافة الله في العبادة والسلوك:

+ تعكس مخافة الله تأثيرها على جوانب العبادة الفردية والجماعية **"اعبدوا الرب بخوف"** (مز٢: ١١). ففي المخدع حيث لا يرانا أحد إلا الله وحده، لا مجال للإدعاء أو الرياء لأن **"كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا"** (عب٤: ١٣)، وليس هناك غير الخشوع، والتوبة الأمينة، والصدق، وكشف المشاعر بغير حرج.

وفي الكنيسة، بيت الله، نحن لا نرى أحداً غير الله ولا نسمع إلا صوته، ولا نخاطب أحداً غيره، ونردد مع داود **"أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك"** (مز٥: ٧).

وعندما نقرأ الكتاب فنحن في محضر الله ومخافته، وبعض الأتقياء لا يقرأون الكتاب إلا راكعين، فهذه هي كلمة الله الجديرة بكل الوقار.

+ ومخافة الله تلزمنا بتنفيذ الوصية طوعاً. وعلاقتنا بالآخرين لا تعرف غير الاستقامة بغير كذب أو مراوغة أو سوء قصد. ومخافة الله تصير سوراً يحمي كل تصرفاتنا من الشرير. فالحواس تنضبط، والفكر يتقدس، والعمل الأمين هو شهادتنا أمام العالم.

■ بركات مخافة الرب:

يحفل الكتاب بوعود الله برعاية من يخافونه، وحمايتهم، وانتزاع الخوف الرديء من قلوبهم، وهنا بعض الآيات المختارة:

"عين الرب على خائفيه" (مز٣٣: ١٨)؛

"ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز٣٤: ٧)؛

"كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه" (مز١٠٣: ١٣)؛

"الرب لي فلا أخاف ماذا يصنع بي الإنسان" (مز١١٨: ٦)؛

"الرب معين لي فلا أخاف" (عب١٣: ٦)؛

"الرب نوري وخلاصي ممن أخاف... إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن" (مز٢٧: ١، ٣)؛

"أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي" (مز٢٣: ٤)؛

"إن كان الله معنا فمن علينا" (رو٨: ١٣).

❁ ❁ ❁

في مخافة الرب نجاتنا من الموت. فالذين يعيشون في مخافة الرب يتقونه ويتمتعون برفقته كل الحياة، ويتممون خلاصهم، ويرثون الحياة الأبدية. أما الذين يتجاسرون ولا يبالون بخوف الله، فيتعالون ويتجبرون ويستبدون،

هؤلاء يسيرون في الظلام مغمضي العينين نحو حتفهم.

وقد يحتاج الأمر إثارة الخوف من دينونة الله في قلوب البعض من اللاهين المغرقين في خطاياهم، الذين لا يعبأون بمصيرهم الأبدي، ولا يبالون بالنصح والتعليم، فيصير الخوف هنا منقذاً لهم من الموت، بحسب ما كتب معلمنا يهوذا "**خلصوا البعض بالخوف** (من الله والمصير الأليم) **مختطفين من النار**" (يه٢٣). والقديس بولس يحث الأسقف تيموثاوس وكل الرعاة على مواجهة الخطاة المعاندين وتوبيخهم علناً لكي يكون هناك خوف (من الله)، فيرتدع الأخرون، ولا يجسروا أن يخطئوا بغير مبالاة "**الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف**" (١تي ٥: ٢٠).

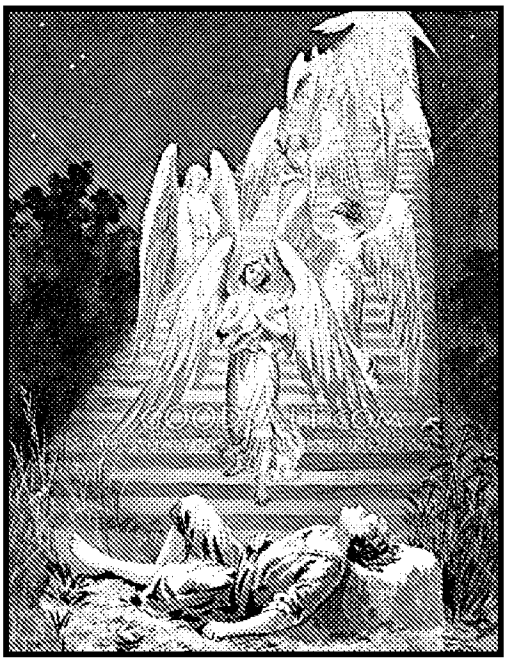

"ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله. وهذا باب السماء" (تك٢٨: ١٧)

(انظر ص ١٦٩)

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي**
التدين المضاد...ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثاني : **عن المسيح**
يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثالث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**
عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابع : **شخصيات كتابية**
١- القديس بطرس .. أول التلاميذ
٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : **قضايا إيمانية**
المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : **في السلوك المسيحي (٢)**
نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابع : **قضايا إيمانية (٢)**
قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامن : **في السلوك المسيحي (٣)**
ضبط النفس ...ومقالات أخري

الكتاب التاسع : **في السلوك المسيحي (٤)**
رفاق الإيمان وخصومه

الكتاب العاشر : **قضايا إيمانية (٣)**
الخطية التي لا تُغفر...ومقالات أخري

الكتب من ١١- ١٣ : **دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد** (طبعتان)

الكتابان ١٤، ١٥ : **الأعياد الكنسية**

الكتاب السادس عشر : **عن المسيح (٢)**

"يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد"

محتويات الكتب الأربعة السابقة "في السلوك المسيحي"

الكتاب الأول

١ – عندما يضيع الطريق ٩

+ التدين المضاد ١٠

٢ – مخاوف البداية وأخطارها ٣١

+ قبلات العدو ٣٢

+ حملان وسط ذئاب ٤٠

٣ – هو الطريق ٤٥

+ اتبعني ٤٦

+ بذل الذات ٥٥

٤ – التزامات الإيمان ٦٣

+ حياة التدقيق ٦٤

+ النمو ضرورة إيمانية ٧٩

+ قضية الغفران بين عمل الله وعمل الإنسان ٨٨

+ الموضع الأخير ٩٧

+ كيف نطلب وكيف يستجيب؟ ١٠٤

+ هل تختلف آلام المؤمنين ؟ ١١٠

+ مواقف لاختبار الإيمان ١٢٠

٥ – ثمار الحياة المسيحية ١٢٧

+ افرحوا ١٢٨

+ جدية الحياة المسيحية ١٣٩

+ الإيجابية سمة مسيحية ١٥٠

٦ – محاذير فى الطريق الروحى ١٦٥

+ ساعة الضعف ١٦٦

الكتاب السادس

١ – نحن والتجسد ٩

+ التجسد والإنسان الجديد ١٠

+ تجديد الحياة ٢١

٢ – نحن والصليب ٣١

+ نحن والصليب والخلاص ٣٢

٣ – نحن والقيامة ٣٩

+ القيامة وحياتنا العملية ٤٠

+ معنا ولا نشعر به ٤٧

٤ – نحن والشهادة للمسيح ٥٥

+ نحن أيضاً تلاميذ ٥٦

+ عندما يأتي الموت ٦٢

٥ – نحن وحياتنا الروحية ٧١

+ الروح القدس .. روح الحياة ٧٢

+ البعد الداخلي للحياة الروحية ٧٥

+ دعوة للاتضاع ٨٣

+ حياة الشكر ٩٤

+ الحياة في النور ١٠٠

+ الميل الثاني ١٠٦

+ الصوم المسيحي ١١٤

+ انسى ولا انسى ١٢١

+ المسيحي في مجتمع مضاد ١٢٨

+ شباب خارج الأبواب ١٣١

الكتاب الثامن

١ – أثقل الناموس ٩

+ أثقل الناموس .. الحق والرحمة والإيمان ١٠

+ الحق ١٥

+ الرحمة ٢٠

+ رحمة لا ذبيحة ٢٧

+ الإيمان ٤٠

٢ – أمانة الله وأمانتنا ٥٩

+ أمانة الله ٦٠

+ كن أميناً ٦٩

٣ – ألوان من التعب ٩١

+ تعب وتعب ٩٢

٤ – ضبط النفس ١٠٥

+ ضبط النفس ١٠٦

+ ضبط الفكر ١١٢

+ ضبط الحواس ١١٨

+ ضبط الانفعال ١٢٩

+ ضبط الشهوات ١٤١

٥ – عن الصداقة ١٥٧

+ الصداقة من منظور كتابي ١٥٨

الكتاب التاسع

▫ رفاق الإيمان وخصومه ٩

▫ رفاق الإيمان ١٣

١ – الرجاء ١٥

٢ – الفرح في التجارب والآلام ٤٧

٣ – الصبر ٥٣

٤ – التوبة ٧٧

٥ – الاتضاع ٨١

٦ – عمل الرحمة ٨٥

٧ – الشبع والاكتفاء ٩١

▫ خصوم الإيمان ٩٩

١ – الرياء ١٠٣

٢ – الذات وتداعياتها ١٣١

٣ – حزن العالم ١٥٧

٤ – غلاظة القلب وقساوته ١٦٩

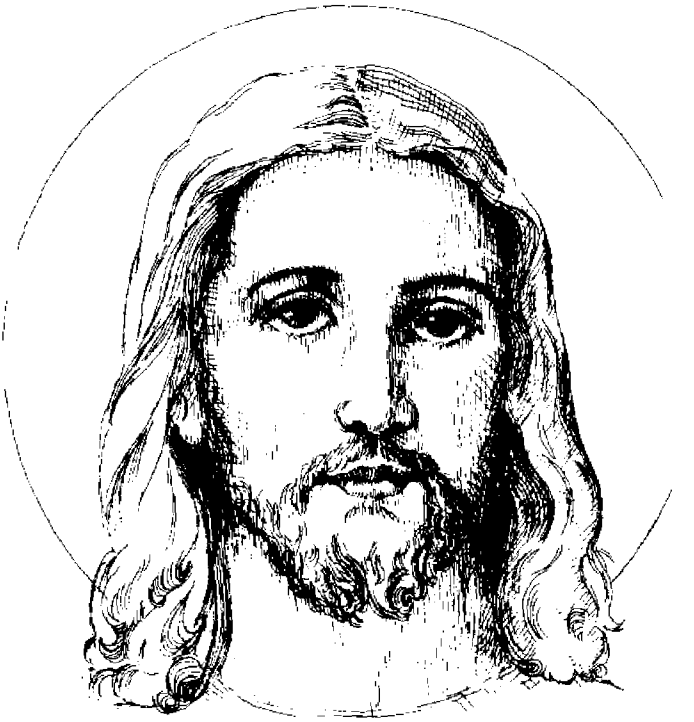

سطور من هذا الكتاب

"الأخلاق المسيحية" لم تبتدعها الكنيسة أو المسيحيون، ولكنها القانون الذي صاغه الرب يسوع، وعلَّمنا إيَّاه خلال سنوات خدمته الثلاث بسلوكه وكلماته، وقدَّم نفسه مثالاً لكي نتبعه. ومن سيرة المسيح ووصاياه تعلَّم تلاميذه ورُسله. وهي كانت محور خدمة الرسل، كما جاءت في سِفْر الأعمال، وكانت أساس ما كتبوه من رسائل إلى الكنائس أو إلى تلاميذهم.

دستور "الأخلاق المسيحية" ومرجعها الأساسي، إذاً، هو الكتاب المقدس، وفي المقام الأول "العهد الجديد". ويمكن القول إنَّ القاعدة المركزية لـ "الأخلاق المسيحية" هي "محبة القريب"، الوجه الآخر للوصية الأولى والعُظمى، وهي "محبة الله"، التي تُشكِّل قاعدة علاقتنا المباشرة مع الله، إيماناً وعبادةً وحفظاً لوصاياه، وتطلُّعاً إلى الحياة الأبدية.

و"محبة القريب" لم تكن بذاتها وصية جديدة، وإنما الجديد أنَّ الرب وسَّع معنى "القريب"، الذي كان يقتصر على الأهل والأقارب، ليكون كل البشر من حولنا بمَن فيهم الأعداء والغرباء، ومَن يختلفون عنَّا في العقيدة واللون والأصل والثقافة وغيرها. هؤلاء هم أقارب المسيحي الجُدُد الذين ينبغي أن يحبهم كنفسه، كما أوضح الرب هذا المعنى في مَثَل "السامري الصالح" (لو ١٠: ٢٩-٣٧) الذي أنقذ عدوَّه من الموت، وطلب الرب من كل مؤمن أن "اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا". واقع الأمر أننا نتدرَّب على المحبة في دائرة العائلة، ثم مع الأصدقاء، ثم نمتدُّ إلى العالم المتَّسع حيث الاختبار الحقيقي للمحبة المسيحية.

نور الحياة